

الإصدار الثالث والعشرون

نزاد عاشوراء

للمحاضر الجليل سيدي



دار المعارف الإسلامية الثقافية

زاد عاشوراء 1448 هـ

(الإصدار الثالث والعشرون)

2026 م - 1448 هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



دار المعارف الإسلامية الثقافية

الكتاب: زاد عاشوراء (23)
إعداد: مركز المعارف للتأليف والتحقيق
إصدار: دار المعارف الإسلامية الثقافية
الطبعة الأولى: 2026م - 1447هـ

الفهرس

5المقّمة
7الموعظة الأولى: حرارة لا تبرد
12الموعظة الثانية: الثورة الحسينية إخلاص وإصلاح
18الموعظة الثالثة: القيم الحسينية في ميدان المواجهة
24الموعظة الرابعة: الثبات مع الحق
30الموعظة الخامسة: التبيين في النهضة الحسينية
37الموعظة السادسة: دولة الإمام المهديّ ثمرة عاشوراء
43الموعظة السابعة: الوفاء في مدرسة كربلاء
49الموعظة الثامنة: الصبر ثبات الأحرار
55الموعظة التاسعة: آداب العاشر من محرم
61الموعظة العاشرة: عاشوراء مدرسة الإصلاح والمقاومة

- 67الموعظة الحادية عشرة: جهاد يصنع النصر
- 73الموعظة الثانية عشرة: تضحية رابحة.
- 79الموعظة الثالثة عشرة: ألا إن نصر الله قريب.
- 84الموعظة الرابعة عشرة: معركة القلب.
- 91الموعظة الخامسة عشرة: العدل المنتظر.
- 97الموعظة السادسة عشرة: سقوط المجتمع حين يُبتلى بالوهن.
- 102.....الموعظة السابعة عشرة: عطاء الشهادة.
- 107.....الموعظة الثامنة عشرة: سنة الاستبدال.
- 113.....الموعظة التاسعة عشرة: مجتمع الرحمة.
- 120.....الموعظة العشرون: المرأة التي حفظت كربلاء.

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا ونبينا أبي القاسم محمّد، وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

إن عاشوراء الإمام الحسين (عليه السلام) هُي مشروع هدايةٍ متجدّد، ومدرسة وعيٍ وإصلاحٍ وجهاد، تستمدّ منها الأمة معاني الثبات، والتضحية، والبصيرة، والصبر، ومواجهة الظلم والانحراف. ومن هنا، كانت المنابر الحسينيّة على امتداد القرون إحدى أهمّ وسائل حفظ الدين والوعي والهويّة، بما حملته من مسؤوليّة التبليغ، وربط الناس بالله تعالى، وبنهج أهل البيت (عليهم السلام)، وبقضايا الأمة وتحدياتها.

إنّ الخطيب الحسينيّ يتحمّل مسؤوليّةً عظيمة في صناعة الوعي، وتصحيح المفاهيم، وإحياء القيم، وتثبيت الناس في ميادين المواجهة والصبر والإصلاح؛ ولهذا كانت الحاجة دائمة إلى مادّة علميّة وتبليغيّة رصينة، تجمع بين الأصالة

والواقعيّة، وبين البعد الإيمانيّ والهَمّ الاجتماعيّ والفكريّ. من هذا المنطلق، تأتي سلسلة «زاد عاشوراء للمحاضر الحسينيّ» الصادرة عن مركز المعارف للتأليف والتحقيق، محاولةً متواضعةً للمساهمة في خدمة المنبر الحسينيّ، عبر تقديم مجموعةٍ من المواعظ والمحاضرات المعدّة لأيّام محرّم الحرام، بما يساعد العلماء والخطباء وأهل التبليغ على أداء رسالتهم، والاستفادة منها في المجالس الحسينيّة، والبرامج العاشورائيّة المختلفة. وقد حرصنا في إعداد هذه السلسلة على أن تكون المواعظ: واضحة الفكرة والهدف، بعيدة عن الحشو والإطالة غير النافعة، مرتبطة بالقرآن الكريم والروايات الشريفة وكلمات علمائنا، متّصلة بواقع الناس وقضاياهم، مستلهمةً من مدرسة الإمام الحسين وأهل بيته (عليهم السلام). ويضمّ هذا الإصدار مجموعةً من العناوين المتنوّعة التي تعالج جوانب عقائديّة، وتربويّة، وأخلاقيّة، واجتماعيّة، وجهاديّة، وفكريّة. نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به أهل المنبر والتبليغ، وأن يوفّق الخطباء والعلماء والرواديد وكلّ العاملين في إحياء أمر أهل البيت (عليهم السلام)، وأن يجعل هذه المجالس المباركة سبباً لحفظ الدين، وإحياء القلوب، وتعزيز الوعي والبصيرة والثبات.

أعظم الله أجوركم
مركز المعارف للتأليف والتحقيق

الموعظة الأولى حرارة لا تبرد

هدف الموعظة

ترسيخ أنّ محبة الإمام الحسين (عليه السلام) هي التزام عمليّ يهدي الإنسان ويجعل أعماله مقبولة عند الله.

محاوّر الموعظة

المحبة الواعية أساس الدين

الولاية شرط القبول

خطر الانحراف عن الولاية

خصوصية الإمام الحسين (عليه السلام)

تصدير الموعظة

رسول الله (صلى الله عليه وآله): «حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا»¹.

¹ الشيخ المفيد، الإرشاد، ج2، ص127.

المحبة الواعية أساس الدين

في شهر محرم، تهتّر القلوب لذكر الإمام الحسين (عليه السلام)، وتدمع العيون حزناً عليه، ويتسابق الناس إلى إحياء مجالسه، ولكن لا بدّ للإنسان هنا من السؤال عن حقيقة هذا الحبّ الذي نُعلنه؟ وما قيمته في ميزان الدين؟ أم هو مجرد عاطفةٍ نعيشها لمدةٍ معيّنة، ثمّ نعود بعدها إلى ما كنّا عليه؟ أم هو ارتباط يوميّ يغيّر الإنسان من داخله، ويعيد صياغة سلوكه وموقفه؟

لقد بيّن رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذا الأمر قائلاً: «لِكُلِّ شَيْءٍ أَسَاسٌ، وَأَسَاسُ الْإِسْلَامِ حُبُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ»¹؛ فالقضية هي أساس يُبنى عليه الدين كلّهُ. وإذا اختلّ الأساس، فكيف يستقيم البناء؟ وقد أكّد القرآن الكريم هذا المعنى، عاداً أجر رسول الله (صلى الله عليه وآله) في تبليغ الرسالة، إنّما يقع على الأمة بإعلان مودّتها لأهل البيت (عليهم السلام)؛ إذ يقول تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾²، فجعل الله تعالى أجر الرسالة كلّها مودّة أهل البيت (عليهم السلام). وهل يُعقل أن يكون أجر أعظم رسالة إلهية هو أمرًا شكلياً أو عاطفياً سطحياً؟ أم أنه أمر يحمل في طياته منهج حياة كامل؟ إنّ «المودّة» التي يطلبها الله تعالى ليست مجرد كلمة أو دمعة، بل هي منهج وطريق ينبغي أن يُترجم في تفاصيل الحياة الإنسانيّة كافّة، هي أن يتخذ الإنسان

¹ ابن شعبة الحزالي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليه وآله)، ص 52.

² سورة الشورى، الآية 23.

أهل البيت (عليهم السلام) قدوته الحقيقية، في عبادته، وأخلاقه، وصدقه، وثباته على الحق... أمّا من ادّعى المحبة، ثمّ خالفهم في سلوكه، وتهاون في طاعة ربّه، وسار في طريق لا يشبه طريقهم، فإنّ حبه يبقى حبّاً ناقصاً، لا يُثمر الهداية، ولا يترك أثره الحقيقي في النفس.

من هنا، فإنّ محرم ليس موسماً للعاطفة والبكاء فحسب، بل موسم مراقبة ومحاسبة؛ فمن أراد أن يكون من أهل محبة الإمام الحسين (عليه السلام) حقاً، فليجعل من هذا الحبّ طريقاً للصالح والهداية.

الولاية شرط القبول

قد يظنّ الإنسان أنّ كثرة أداء الأعمال من واجبات ومستحبات كافية للنجاة، فيصلّي ويصوم ويتصدّق، لكنّ الروايات نبّهت إلى أمر ذي أهميّة بالغة، ألا وهو قبول هذه الأعمال من الله، وأنّ هذا الأمر مشروط بالولاية، يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا، لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَقِيَ اللَّهَ بِعَمَلٍ سَبْعِينَ نَبِيًّا، ثُمَّ لَمْ يَأْتِ بِوَلَايَةِ أَوْلِي الْأَمْرِ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا»¹، وهذا لا يعني التقليل من شأن الأعمال، بل يعني أنّ العمل يحتاج إلى طريق صحيح يصل به الإنسان إلى الله، وهذا الطريق هو أهل البيت (عليهم السلام)، وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ

¹ الشيخ المفيد، الأمالي، ص 115.

عَمَلٌ عَبْدٌ وَهُوَ يَشْكُ فِينَا»¹، فالمسألة ليست مجرد أداء ظاهريّ، بل هي إيمانٌ وانتماء، لا بدّ من انعكاسهما على العمل، ليعطياه قيمته الحقيقيّة.

خطر الانحراف عن الولاية

وإذا كان العمل غير مقبول من دون ولاية، فكيف بمن يعمل وهو منحرفٌ عن خطّ أهل البيت (عليهم السلام)؟ لقد حدّرت الروايات من خطورة هذا الأمر وتبعاته العظيمة على الصعيد الأخرويّ؛ فقد يُصَلِّي الإنسان، ويصوم، ويكثر من العبادات، ولكنّه في الوقت نفسه يُخالف أهل البيت (عليهم السلام) عمليّاً، ويكون من مبغضهم، فيحبّط بذلك عمله، ويكون من أهل النار، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أَمَّا وَاللَّهِ، لَوْ أَنَّ رَجُلًا صَفَّ قَدَمَيْهِ بَيْنَ الرَّكْنِ وَالْمَقَامِ مُصَلِّيًا، وَلَقِيَ اللَّهَ بِبُغْضِكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ، لَدَخَلَ النَّارَ»²؛

إنّ هذا التحذير يكشف عن أنّ المشكلة ليست في العمل نفسه، بل في الانحراف عن خطّ الحقّ والعداء لأهله، فإنّ العمل حينها يفقد أثره، بل قد يتحوّل وبالاً على صاحبه؛ ولهذا يقول الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾³:

¹ الشيخ المفيد، الأمالي، ص3.

² الشيخ المفيد، الأمالي، ص253.

³ سورة محمد، الآية 33.

«عَدَاؤُنَا تُبْطِلُ أَعْمَالَهُمْ»¹.

خصوصية الإمام الحسين (عليه السلام)

إذا كان حبّ أهل البيت (عليهم السلام) أساس الدين، فإنّ للإمام الحسين (عليه السلام) خصوصية عظيمة في هذا الباب، يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «حُسَيْنٌ مَيِّ وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا»²؛ فإنّ حبّه (عليه السلام) هو ارتباط وثيق بمشروع إصلاحيّ عظيم، وهو القائل (عليه السلام): «إِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا وَلَا مُفْسِدًا وَلَا ظَالِمًا، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)»³.

فمن أحبّ الإمام الحسين (عليه السلام)، لا بدّ من أن يسير في طريق الإصلاح؛ يُصلح نفسه، ويُراقب سلوكه، ويقف مع الحقّ، ويرفض الظلم. إنّ حرارة حبّ الحسين (عليه السلام) في القلوب، ليست حرارة حزن فحسب، بل هي حرارة هداية لا تبرد، تدفع الإنسان نحو الحقّ، وتمنعه من الانحراف.

¹ الكوفي، تفسير فرات الكوفي، ص 419.

² الشيخ المفيد، الإرشاد، ج 2، ص 127.

³ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 44، ص 329.

الموعظة الثانية الثورة الحسينية: إخلاص وإصلاح

هدف الموعظة

بيان أنّ الثورة الحسينية كانت مشروعاً إلهياً واعياً يقوم على ركنين أساسيين: الإخلاص لله تعالى والإصلاح في الأمة، وأنّ هذين الركنين يشكّلان معياراً لفهم عاشوراء، كما يشكّلان تكليفاً مستمراً لكلّ مؤمن في واقعه.

محاوّر الموعظة

الإخلاص أصل الحركة الحسينية
الإصلاح هدف مركزي
أداة الإصلاح

تصدير الموعظة

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾¹.

¹ سورة الحديد، الآية 25.

وجاء في وصية الإمام الحسين (عليه السلام): «إِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا وَلَا مُفْسِدًا وَلَا ظَالِمًا، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)»¹.

الإخلاص أصل الحركة الحسينية

يبدأ الإمام الحسين (عليه السلام) وصيته بنفي قاطع: «لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا وَلَا مُفْسِدًا وَلَا ظَالِمًا»، وإنّ هذا النفي هو تأسيس لهوية الثورة التي قام بها؛ فالإمام (عليه السلام) يحدّد منذ اللحظة الأولى أنّ حركته منزّهة عن كلّ دافع ذاتي: لا طلب جاه، ولا طلب سلطة، ولا ردّ فعلٍ انفعالي، ولا منافسة سياسية. والقرآن الكريم يضع نموذجاً مقابلاً لهذا النفي، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾². إذًا، ثمّة خطّان: خطّ يقوم على «الأنا» والرياء والغرور، وخطّ يقوم على الإخلاص والتجرّد لله سبحانه. وقد أعلن الإمام الحسين (عليه السلام) انتماءه المطلق إلى الخطّ الثاني، وأكد ذلك بسيرته، فكانت مسيرته كلّها مغمورةً بالعبودية لله تعالى.

يقول الإمام الخامنّي (قدّس سرّه): «إنّ إحدى خصائص هذه الواقعة، هي أنّ خروج الإمام الحسين (عليه السلام) كان خالصاً لله، وإصلاح المجتمع الإسلامي... ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، لا وجود فيها للأنا وللذات

¹ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج44، ص329.

² سورة الأنفال، الآية 47.

والمصالح الشخصية والقومية والحزبية أبداً»¹.

وقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «طوبى لمن أخلص لله عمله وعلمه، وحبّه وبغضه، وأخذه وتركه، وكلامه وصمته، وفعله وقوله»²، فالإخلاص هنا معيارٌ ينعكس على القرار والموقف والتضحية. ولذلك، فإنّ أعظم ما في كربلاء أنّها قدّمت نموذجاً خالصاً لا تشوبه المصالح. إنّ أوّل درسٍ ينبغي أن نتعلّمه من عاشوراء الإمام الحسين (عليه السلام) هو خلوص النية؛ فإنّ العمل إذا تلوّث بالأنا، خرج من الخطّ الحسيني، ولو تشابه معه ظاهراً.

الإصلاح هدف مركزي

بعد النفي، يأتي الإثبات لبيان الهدف الأساس: «وَأَمَّا خَرَجْتُ لِطَلْبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِيدٍ»، فالإمام (عليه السلام) يختصر الهدف بكلمة واحدة: الإصلاح. والإصلاح في المفهوم القرآني، هو إعادة المجتمع إلى ميزان الحقّ، قال تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾³، وهذا هو الخطّ نفسه الذي سار عليه الأنبياء (عليهم السلام)؛ فالإمام الحسين (عليه السلام) كان امتداداً لمشروع

¹ من كلام له (فدّيس سرّه)، بتاريخ 03 شعبان 1414 هـ.

² ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص 91.

³ سورة هود، الآية 88.

النبوة: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾¹؛ أي لإقامة القسطِ والحقِّ وإقرارِ الحكومةِ والنظامِ الإسلاميِّ، وقد جاء في زيارة الأربعين عن الإمام الحسين (عليه السلام): «وَبَدَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ، لَيْسْتَ تَنْقِدُ عِبَادَكَ مِنَ الْجَهَالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلَالَةِ»².

يقول الإمام الخامنئي (قُدِّسَ سِرُّهُ): «إِنَّ آثَارَ الإِمَامِ الحُسَيْنِ (عليه السلام) وأقواله كلها، وكذلك ما وصلنا حوله من أقوال المعصومين، توضِّحُ أَنَّ الهدفَ كَانَ إقامةَ الحَقِّ والعدلِ والدينِ الإلهيِّ، وإقرارَ حاكميةِ الشريعةِ، وتقويضَ بنيانِ الظلمِ والجورِ والطغيانِ، وأتته كَانَ مواصلةً لنهجِ الرسولِ الأكرمِ (صلى الله عليه وآله) وسائرِ الأنبياءِ (عليهم السلام): «يا وارثَ آدَمَ صفوةِ الله... يا وارثَ نوحِ نبيِّ الله»³»⁴.

الإصلاح الذي أرادَه الحسين يتناول: تصحيح العقيدة (إنقاذ من الجهالة)، تصحيح الوعي (الخروج من الحيرة)، تصحيح الواقع (إقامة الحق). وهنا نقطة مهمّة حول أن الإصلاح لا يُقاس بنتائجه الظاهرية فقط؛ فقد يصل المصلح إلى الحكم، وقد يُقتل في الطريق، لكنّ معيار النجاح هو أداء التكليف، كما بيّن الإمام الخامنئي (قُدِّسَ سِرُّهُ): «إِنَّ هدفَ ذلكَ العظيم، كَانَ أداءَ

¹ سورة الحديد، الآية 25.

² الشيخ الطوسي، تهذيب الأحكام، ج 6، ص 113.

³ ابن قولويه القمي، كامل الزيارات، ص 206.

⁴ راجع: كلمة الإمام الخامنئي (قُدِّسَ سِرُّهُ)، بتاريخ 10 محرم الحرام 1416 هـ.

واجبٍ عظيمٍ مِنْ واجباتِ الدين، لم يُؤدِّه أحدٌ قبلَهُ... يقولُ الإمامُ (عليه السلام): «وَأَمَّا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)؛ أَيُّ أَرِيدُ الثَّوْرَةَ لِأَجْلِ الْإِصْلَاحِ، لَا لِلْوَصُولِ إِلَى الْحَكْمِ حَتْمًا أَوْ إِلَى الشَّهَادَةِ حَتْمًا. وَالْإِصْلَاحُ لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْهَيِّئِ، فَقَدْ تَكُونُ الظُّرُوفُ بِصُورَةٍ، بَحِيثٌ يَصِلُ الْإِنْسَانُ إِلَى سِدَّةِ الْحَكْمِ، وَيَمْسُكُ بِزِمَامِ السُّلْطَةِ، وَقَدْ لَا يُمْكِنُهُ ذَلِكَ وَيَسْتَشْهَدُ»¹.

أداة الإصلاح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ثم يفصل الإمام (عليه السلام) طريق الإصلاح بقوله: «أُرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ»، رابطاً ثورته المباركة بفريضة أساسية في الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾². لكن الإمام الحسين (عليه السلام) لم يطرح هذه الفريضة بشكلٍ نظريٍّ، بل جسدها عملياً في أعلى مستوياتها، حتى بلغت حدَّ التضحية بالنفس. ولقد بين الإمام الحسين (عليه السلام) أثناء الطريق حديثاً معروفاً، نقلاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا، مُسْتَحِلًّا حُرْمِ اللَّهِ، نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ، مُخَالِفًا لِسِتَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، يَعْمَلُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ،

¹ المصدر نفسه.

² سورة آل عمران، الآية 104.

فَلَمْ يُغَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ»¹.

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أنّ السكوت على الانحراف، إنّما هو مشاركة ضمنيّة فيه، وليس حياداً كما يظنّ بعضهم؛ وهنا بيانٌ لسبب خروج الإمام الحسين (عليه السلام)، فقد بلغ المنكر مستوى لا يمكن السكوت عنه، بل إنّ السكوت كان يعني شرعنة هذا الانحراف. وعليه، لم يكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خياراً، بل كان شرطاً أساساً لبقاء الدين حياً في المجتمع.

إنّ كربلاء كانت امتداداً لما جاء الأنبياء (عليهم السلام) لأجله، وهي حلقة جوهرية في سلسلة الصراع بين الحقّ والباطل، وهذا ما يعطيها بعدها الدائم: فكلّ زمانٍ فيه انحراف فإنّه يحتاج إلى الحسين، وكلّ مجتمعٍ فيه ظلم فإنّه يحتاج إلى نُهجه.

لقد أعطانا الإمام الحسين (عليه السلام) معيارين واضحين: الإخلاص في النية والإصلاح في الهدف، فإذا أردنا أن نكون حسينيين حقاً، فعلينا أن نراجع أنفسنا: هل نتحرّك لله أم لأنفسنا؟ هل نحمل همّ الإصلاح أم نبحث عن السلامة؟ هل نواجه المنكر أم نتعايش معه؟

¹ أبو مخنف الكوفي، وقعة الطفّ، ص 172.

الموعظة الثالثة القيم الحسينية في ميدان المواجهة

هدف الموعظة

بيان أنّ النهضة الحسينية كانت تجسيدا لمنظومة أخلاقية متكاملة، ظهرت في أقسى الظروف، وأنّ هذه الأخلاق، كالوفاء، وضبط النفس، والنصيحة، والمروءة، والغيرة، تشكّل معياراً حقيقياً لصدق الانتماء إلى النهج الحسيني، وتكليفاً عملياً للمؤمن في مواقفه.

محاوِر الموعظة

الوفاء بالعهد

رفض البدء بالقتال

النصيحة وإقامة الحجّة

المروءة والغيرة

تصدير الموعظة

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾¹.

¹ سورة الإسراء، الآية 34.

الوفاء بالعهد

إنّ من أبرز القيم التي تجلّت في سلوك الإمام الحسين (عليه السلام) هي قيمة الوفاء بالعهد، والتي هي مبدأ يرتبط به مصير الإنسان أمام الله تعالى، كما في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾.

لقد وُضع الإمام (عليه السلام) أمام خيارٍ صعب: إمّا أن يبايع يزيد، فيحفظ دمه ظاهراً، أو يرفض، فيدخل في مواجهةٍ يعلم عواقبها. لكنّ القضية لم تكن عنده مسألة بقاءٍ شخصيٍّ، بل مسألة التزامٍ بالعهد الإلهيِّ، عهد حفظ الدين وعدم شرعنة الفساد؛ لذلك قال كلمته الحاسمة: «إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، معلى بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله»¹.

كان هذا الموقف من الإمام الحسين (عليه السلام) إعلاناً بأنّ الوفاء لله يقتضي عدم التنازل عن المبادئ، ولو كلف ذلك الحياة نفسها. وهنا تتضح حقيقة مهمة: أنّ نقض العهد لا يكون فقط بترك وعدٍ لفظيٍّ، بل قد يكون بقبول واقعٍ باطلٍ يُضفي عليه الشرعية.

إنّ أوّل درسٍ من كربلاء: أنّ المؤمن لا يساوم على الحقّ، ولا يبرّر الباطل تحت ضغط الواقع، بل يبقى وفياً لخطّ الله، مهما عظمت التحدّيات.

¹ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج44، ص325.

رفض البدء بالقتال

في ميدانٍ اشتدَّت فيه التوتُّرات، وبلغت الاستفزازات ذروتها، كان يمكن لأيِّ قائد أن يندفع إلى القتال بدافع الغضب أو الحميَّة، لكنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) قدَّم نموذجاً مختلفاً في ضبط النفس. فحين طلب منه مسلم بن عوسجة أن يرمي شمر بن ذي الجوشن، قال (عليه السلام): «لا ترمه؛ فإنِّي أكره أن أبدأهم»¹.

هذا الموقف يكشف عن بُعدٍ عميق في شخصيَّة الإمام (عليه السلام): أنَّ القتال عنده لم يكن هدفاً، بل ضرورة فُرضت عليه، وهو بذلك ينسجم مع التوجيه القرآني: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾².

إنَّ الفرق بين نهج الحسين (عليه السلام) ونهج أعدائه، أنَّه كان يضبط ردود فعله وفق ميزان القيم، لا وفق الانفعال. وهذا ما يميِّز الخطَّ الإلهي عن الخطَّ البشريِّ القائم على الغضب والانتقام.

وهنا درس عمليّ: أنَّ الالتزام الأخلاقيِّ إنّما يظهر في لحظات الشدَّة. فمن يلتزم بالقيم في الظروف العاديَّة فقط، فإنَّه لم يبلغ بعدُ مستوى النهج الحسينيِّ.

النصيحة وإقامة الحجَّة

لم يدخل الإمام الحسين (عليه السلام) المعركة قبل أن يُقيم الحجَّة على القوم،

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، ج3، ص187.

² سورة البقرة، الآية 190.

ويُعطيهم الفرصة للرجوع إلى الحقّ. فقد خاطبهم قائلاً: «أيّها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتّى أعظكم بما يجب لكم عليّ، وحتّى اعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدّقتم قولي وأنصفتُموني، كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا منّي العذر ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾¹، ﴿إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾². [...] أما بعد، فانسبوني، فانظروا من أنا، ثم راجعوا أنفسكم فعاتبوها، وانظروا هل يصلح ويحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟! ألسنتُ ابن بنت نبيكم وابن وصيّته وابن عمّه، وأولى المؤمنين بالله، والمصدّق لرسوله؟!»³.

لقد كان هذا الخطاب ممارسةً لفريضة النصيحة التي أكّدها الإسلام، وامتداداً لنهج الأنبياء (عليهم السلام) في دعوة الناس إلى الحقّ بالحجّة والبيان. وقد استشهد الإمام (عليه السلام) بآيات قرآنيّة، منها: ﴿إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾، ليؤكّد أنّ موقفه هذا هو امتدادٌ لولاية الله تعالى.

إنّ هذا الموقف يكشف عن رحمة عميقة؛ إذ كان الإمام (عليه السلام) ينظر إلى

¹ سورة يونس، الآية 71.

² سورة الأعراف، الآية 193.

³ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص 61.

أعدائه كأمة تحتاج إلى هداية، حتى في لحظات المواجهة. وهنا تتجلى قيمة عظيمة: أنّ النصيحة لا تسقط بسبب الخصومة، بل قد تكون واجبة أكثر في تلك اللحظات، لأنها آخر فرصة للإنقاذ.

المروءة والغيرة

من أروع ما ظهر في كربلاء، أنّ الأخلاق لم تغب عن سلوك الإمام الحسين (عليه السلام)، برغم قسوة الظروف. فقد واجه القوم بالعباءة والإحسان، لا بالمثل.

عندما جاء جيش الحرّ وهم عطاشى، قال (عليه السلام) لفتيانته: «اسقوا القوم، واروهم من الماء، ورشّفوا الخيل ترشيفاً»¹.

هذا الموقف يجسّد معنى المروءة الحقيقيّة: أن تعطي حتى لمن جاء ليقاتلك. وهو تطبيق عمليّ لقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾².

وكذلك ظهرت الغيرة في أسمى صورها، حين تعرّض القوم لحرمه بالضرب وما شاكل، فصاح بهم (عليه السلام): «ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان! إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم إذ كنتم أعراباً»، فناداه شمر، فقال: ما تقول يا ابن فاطمة؟ قال: «أقول: أنا الذي أقاتلكم وتقاتلونني، والنساء ليس عليهنّ جناح، فامنعوا

¹ الشيخ المفيد، الإرشاد، ج2، ص78.

² سورة الإنسان، الآية 8.

عتاتكم عن التعرّض لحرمي ما دمت حيّاً»¹.

إنّما غيرة على القيم، وعلى الكرامة الإنسانيّة، وليست مجرد عاطفة فقط. وهنا تتجلّى حقيقة مهمّة، مفادها أنّ الأخلاق ليست زينةً خارجيّة، بل هي جوهر الإنسان، تظهر حتّى في أشدّ لحظات الألم. أيّها المؤمنون،

إنّ كربلاء مدرسة أخلاقيّة متكاملة، قدّم فيها الإمام الحسين (عليه السلام) نموذجاً للإنسان الذي يعيش القيم في كلّ الظروف. لقد تعلّمنا منه أنّ الوفاء لا يُساوم عليه، وأنّ ضبط النفس معيار القوّة، وأنّ النصيحة واجب حتّى مع الخصم، وأنّ المروءة والغيرة لا تسقطان في زمن المحن.

هل نحمل هذه القيم في حياتنا؟ هل نلتزم بما حين تتعارض مع مصالحنا؟ هل نعيش الأخلاق كنهج، أم كشعارات؟

إنّ الانتماء الحقيقيّ للإمام الحسين (عليه السلام) لا يكون بالبكاء عليه فقط، بل بالسير على خطاه، وتجسيد أخلاقه في واقعنا.

¹ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج45، ص51.

الموعظة الرابعة الثبات مع الحقّ

هدف الموعظة

بيان حقيقة الثبات في نصرة الحقّ من خلال سلوك أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام)، وشرح الدوافع الواعية التي جعلتهم يبلغون تلك المرتبة العالية، لتتحوّل هذه القيم إلى منهج عمليّ في واقع الإنسان.

محاوّر الموعظة

وحي المصير شرط الثبات
البصيرة في مواجهة الباطل
الولاية وأداء الحقّ
الاختيار الحاسم بين الجنة والنار

تصدير الموعظة

﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾¹.

¹ سورة الأحزاب، الآية 23.

وعى المصير شرط الثبات

لم تكن حركة أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) حركةً عاطفيّةً أو اندفاعاً غير محسوب، بل كانت قائمةً على وعيٍ كاملٍ بالمصير. الإمام (عليه السلام) لم يُخفِ عنهم ما ينتظرهم، بل كان يُصارحهم في كلِّ منزل، كاشفاً لهم الواقع كما هو، خصوصاً بعد وصول خبر شهادة مسلم بن عقيل، إذ قال لهم بوضوح: «قَدْ حَدَلْنَا شِيعَتُنَا، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ الْإِنصِرَافَ فَلْيَنْصِرِفْ، لَيْسَ عَلَيْهِ مَتَا ذِمَامٌ»¹. هذا الموقف يكشف أنّ الإمام (عليه السلام) كان يريد أن يميّز أصحابه على أساس البصيرة، لا على أساس العاطفة أو الانتماء الظاهريّ الهشّ.

وهنا يتجلّى الفارق بين مَنْ يثبت عن وعي، ومَنْ يتراجع عند أوّل اختبار؛ فالذين بقوا مع الإمام الحسين (عليه السلام) لم يكونوا جاهلين بالعاقبة، بل كانوا أعلم الناس بها، ومع ذلك اختاروا البقاء.

إنّ القرآن الكريم يربط بين الصدق في الإيمان والثبات على العهد، كما في الآية المتقدّمة، فالثبات يأتي نتيجة وعيٍ عميقٍ بحقيقة الطريق والمنهج. وفي واقعنا، كثيرٌ من الناس قد يضعف ويتراجع أمام معرفة العواقب والتبعات، برغم حبّهم للحقّ؛ أمّا أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام)، فقد عرفوا الثمن، واختاروا الدفع.

البصيرة في مواجهة الباطل

إنّ من أبرز ما يميّز أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) أنّهم كانوا أهلَ بصائر،

¹ ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، ج 4، ص 300.

وقد شهد لهم بذلك عدوُّهم، حين قال عمرو بن الحجاج: «أتدرون من تقاتلون؟ تقاتلون فرسان مصر، وأهل البصائر، وقوماً مستميتين...». والبصيرة تعني القدرة على تشخيص الحق من الباطل في زمن الالتباس، وهذا ما كان واضحاً في كلماتهم (رضوان الله عليهم).

لقد وصّف الإمام الحسين (عليه السلام) الواقع آنذاك بدقّة، حين قال: «إني لا أرى الموت إلّا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً»¹، فقام زهير بن القين البجليّ، وقال: «والله، لو كانت الدنيا لنا باقية، وكنا فيها محلّدين، إلّا أنّ فراقها في نصرك ومواساتك، لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها»². هذه الكلمة تكشف لنا أنّ القضية كانت ترتبط بفهم عميق، مفاده أنّ البقاء مع الباطل هو الخسارة الحقيقية والفعليّة، مهما طال العمر.

إنّ البصيرة تُري الإنسان ما وراء الظواهر، فلا يُجذع بالشعارات، ولا ينجرّف مع الأكثرية؛ ولذلك فإنّ مشكلة كثيرٍ من الناس تكمن في غياب البصيرة التي تُحسن توظيف المعارف والمعلومات، وقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ»³، فالبصيرة وعيٌ حيٌّ يُترجم إلى موقف.

¹ ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، ج 4، ص 305.

² المصدر نفسه.

³ السيّد الرضي، نصح البلاغة، ص 213، الخطبة 153.

الولاية وأداء الحقّ

إنّ العلاقة بين الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه كانت علاقة ولاية واعية، تُحمّلهم مسؤوليّةً شرعيّةً. وقد عبّر هلال بن نافع البجليّ عن هذا المعنى بوضوح حين قال: «وإنّا على نيّاتنا وبصائرنا نوالي من والاك، ونعادي من عاداك»¹. هذه الجملة تختصر مفهوم الولاية: انخيازٌ كاملٌ في الموقف، مبنيٌّ على قناعة ودراية.

وكذلك نجد مسلم بن عوسجة يعبّر عن شعور التكليف هذا، حين قال: «أنحن نُحلي عنك، ولما نُعذر إلى الله في أداء حقك!»²، هنا تتحوّل النصرّة إلى واجب يُسأل عنه الإنسان أمام الله.

إنّ أخطر ما يمكن أن يُصيب الإنسان هو أن يفصل بين إيمانه وموقفه العمليّ؛ فالإيمان الحقيقيّ يفرض التزاماً وسلوكاً، وليس مجرد شعورٍ داخليّ أو حالة قلبيّة. لهذا، نجد أنّ أصحاب الحسين (عليه السلام) لم يكتفوا بإعلان الولاء، بل جسّدوه في أعلى درجات التضحية، فهذا بُرير بن خُضير يقول: «لقد منّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك، وتُقطّع فيك أعضاؤنا، ثمّ يكون جدّك شفيعنا يوم القيامة»³، إنّه يرى القتال بين يديه (عليه السلام) منّةً من الله ونعمة؛ لأنّه

¹ السيّد ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص48.

² ابن جرير الطبريّ، تاريخ الطبريّ (تاريخ الأمم والملوك)، ج4، ص318.

³ السيّد ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص48.

أداةً للتكليف وثباتٌ على الحقّ. وفي هذا درسٌ واضح: أنّ الارتباط بالحقّ لا يُقاس بالكلام، بل بالاستعداد لتحمل تبعاته.

الاختيار الحاسم بين الجنّة والنار

في لحظة الحسم، لا مجال للتردّد، وهذا ما حصل مع الحرّ الرياحيّ، الذي كان في بداية الأمر ضمن جيش العدو، ثمّ تحوّل إلى أحد أبرز أنصار الإمام الحسين (عليه السلام)؛ إذ استعجب صاحبه لحاله، وقد أخذه مثل العروء¹، فقال له: «يا بن يزيد، والله إنّ أمرك لمريب! والله ما رأيت منك في موقف قطّ مثل شيء أراه الآن! ولو قيل لي من أشجع أهل الكوفة رجلاً ما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك؟!»، قال: «إني والله أخير نفسي بين الجنّة والنار، والله لا أختار على الجنّة شيئاً، ولو قُطعتُ وحُرِّقت»².

هذا الموقف يختصر كلّ المسألة: وضوح الخيار. إنّ الإنسان قد يعيش تردّداً في حالات معيّنة، وهذا أمرٌ طبيعي، لكنّ العبرة في أن يحسم موقفه عندما تتضح الحقيقة. الحرّ لم يكن جاهلاً، لكنّه كان متردّداً، ثمّ اتخذ القرار الصحيح في الوقت المناسب.

وهنا تتجلى قيمة الإرادة. فالهداية ليست مجرد معرفة، بل قرارٌ يُتخذ. ولذلك

¹ العروء: الرعدة والانفاس من الحمى والبرد.

² ابن جرير الطبريّ، تاريخ الطبريّ (تاريخ الأمم والملوك)، ج4، ص325.

يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾¹.

إنَّ أصحابَ الحسين (عليه السلام) كانوا نموذجاً للإنسان الذي يحسم أمره، فلا يعيشُ في المنطقة الرمادية. ولذلك بلغوا تلك المنزلة التي حُذِّت في التاريخ. أيُّها المؤمنون، إنَّ الحديث عن أصحاب الحسين (عليه السلام) هو استحضارٌ لمنهجٍ ينبغي أن يُعاش. هؤلاء لم يكونوا ملائكةً، بل كانوا بشرًا، لكنهم ارتقوا بوعيمهم، وبصيرتهم، وصدقهم في الالتزام.

لقد مدحهم الإمام المعصوم (عليه السلام)، وشهد لهم قائلاً: «فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي»²؛ فالسؤال الذي ينبغي أن يطرحه كل واحدٍ منّا: ما الذي جعلهم يصلون إلى هذه المرتبة؟ والجواب واضح: وعيٌ بالمصير، بصيرةٌ في الموقف، التزامٌ بالولاية، وحسمٌ في الاختيار. إذا استطعنا أن نأخذ هذه العناصر، ونُسقطها على واقعنا، نكون قد انتفعنا من عاشوراء. أمّا إذا اكتفينا بالبكاء من دون تغييرٍ في السلوك، فإننا نكون قد فوّتنا جوهر الرسالة.

¹ سورة محمد، الآية 17.

² الشيخ المفيد، الإرشاد، ج2، ص91.

الموعظة الخامسة التبيين في النهضة الحسينية

هدف الموعظة

بيان أنّ النهضة الحسينية كانت مشروعاً هدايةً وتوعيةً وتبييناً للأمة، وأنّ هذا الخطّ استمرّ عبر السيّدة زينب والإمام السجّاد (عليهما السلام)، بما يكشف مسؤوليّة المؤمن في مواجهة التضليل والتحريف.

محاوّر الموعظة

التبيين جزءٌ أصيلٌ من النهضة الحسينية

التبيين الزينيّ

خطر غياب البصيرة في زمن الفتنة

مسؤوليتنا في جهاد التبيين

تصدير الموعظة

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾¹.

¹ سورة إبراهيم، الآية 4.

التبيين جزءٌ أصيلٌ من النهضة الحسينية

كثيراً ما تُحتزل النهضة الحسينية في صورة المعركة العسكرية يوم عاشوراء، بينما تكشف النصوص التاريخية وخطب الإمام الحسين (عليه السلام) أنّ جانباً أساسياً من نهضته كان قائماً على التبيين وكشف الحقائق وتوعية الأمة؛ فالإمام (عليه السلام) لم يخرج صامتاً، ولم يتحرك في الخفاء، بل كان يشرح أهدافه في كلِّ مرحلة، ويبين حقيقة السلطة الأموية، ويكشف الانحراف الذي أصاب الأمة؛ ولذلك نراه منذ أوائل حركته يحدّد بوضوح طبيعة المعركة، كما قال في إحدى خطبه: «إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَّحْمَانِ، فَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ، وَأَبْطَلُوا الْحُدُودَ، وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفِيءِ...»¹.

هذا النصّ يبيّن أنّ الإمام (عليه السلام) لم يكن يتحرك بدافع شخصي أو قبلي أو سياسي ضيق، وإنّما كان يواجه مشروعاً منحرفاً يهدّد الدين والأمة والقيم؛ ولهذا أيضاً كتب في وصيته المشهورة إلى محمد بن الحنفية: «وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»².

إنّ هذه الوصية لم تكن مجرد إعلان موقف، بل هي عملية تبيين للأمة؛ لأنّ الإمام (عليه السلام) كان يعلم أنّ السلطة ستحاول تشويه أهداف حركته، وتصويرها على أنّها خروج على الدولة أو تمرّد على الخليفة؛ ولذلك بادر إلى

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، ج3، ص171.

² العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج44، ص329.

تحديد هويّة مشروعته بوضوح: إصلاح، وأمرٌ بالمعروف، ونهيٌ عن المنكر. ومن هنا نفهم كلام الإمام الخامنئي (قُدّس سرّه): «ينبغي ألاّ نعرفَ الإمامَ الحسينَ (عليه السلام) عبرَ معركةِ يومِ عاشوراءَ فقط، فذلك جانبٌ من جهاده؛ ينبغي معرفتهُ بتبَيّناته وأمره بالمعروفِ ونهيه عن المنكرِ وإيضاحِهِ القضايا والأُمورَ في منى وعرفات»¹؛ لأنّ عاشوراء لم تكن حدثاً عسكرياً منفصلاً عن مشروعٍ فكريّ وتوعويّ كبير، بل كانت ذروة ذلك المشروع.

لقد مارس الإمام الحسين (عليه السلام) التبیین في خطبه في مكّة ومنى وعرفات، وفي رسائله إلى الشخصيات والقبائل، وفي حواراته مع الناس في الطريق، وفي كلماته مع الجيش المعادي، وحتى في اللحظات الأخيرة من حياته، وحين قال في كربلاء: «أَلَا إِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ، بَيْنَ السِّلَّةِ وَالذِّلَّةِ، وَهَيْهَاتَ مِنَّا الذِّلَّةُ»²، إنّما كان يطلق شعاراً يؤسّس وعياً للأمة: أنّ الإنسان المؤمن لا يساوم على كرامته ودينه مهما كانت الظروف. وهنا تتجلّى أهميّة التبیین؛ لأنّ أخطر ما يفعله الباطل ليس القتل، بل تشويه الوعي، وتغيير المفاهيم، وقلب الحقائق.

التبیین الزينبيّ

لو انتهت القضية الحسينيّة عند حدود الميدان العسكريّ في كربلاء، لكان

¹ من كلامٍ له (قُدّس سرّه)، بتاريخ 2009/07/27م.

² العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج45، ص9.

بإمكان السلطة الأمويّة أن تطمس الحقيقة، وأن تقدّم روايتها للأحداث بوصفها الحقيقة الوحيدة، لكنّ الله تعالى شاء أن تمتدّ النهضة عبر الإعلام الرساليّ الذي قادته السيّدة زينب والإمام السجّاد (عليهما السلام).

لقد انتقلت مسؤوليّة التبیین بعد الشهادة إلى زينب (عليها السلام)، فتحول السبي إلى حركة وعي، وتحولت المجالس والأسواق وقصور الطغاة إلى ساحات مواجهة فكريّة وإعلاميّة.

ومن أعظم ما يلفت النظر في التبیین الزينيّ هو قوّة الشخصيّة والثبات النفسيّ؛ فالسيّدة زينب (عليها السلام) لم تكن تخطب في ظرف طبيعيّ، بل بعد فاجعةٍ فقدت فيها إخوتها وأبناءها وأهل بيتها، ومع ذلك وقفت في الكوفة والشام بكلّ صلابة، وقد عبّر الإمام الخامنئيّ (قُدّس سرّه) عن هذا المعنى بدقّة حين قال إنّها «في مثل هذه المحنة، تسطع فجأةً شمس العظمة»¹؛ ففي الكوفة، وقفت تخاطب الناس: «يا أهل الكوفة، يا أهل الغدر والختل!»²، لتفضح تناقضهم ونفاقهم، ولتكشف أنّ المشكلة لم تكن في الجهل بالمكانة الظاهريّة لأهل البيت (عليهم السلام)، بل في ضعف البصيرة والانهيار أمام الفتنة.

إنّ خطاب زينب (عليها السلام) كان إعادة تشكيلٍ للوعي العامّ؛ ولذلك ركّزت على كشف حقيقة المجتمع الذي خذل الإمام الحسين (عليه السلام)، فقالت:

¹ من كلامٍ له (قُدّس سرّه)، بتاريخ 21/04/2010م.

² العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج45، ص109.

«هل فيكم إلا الصِّف والعُجْب والشَّنْف والكذب، ومَلَقُ الإماء، وغمز الأعداء»¹.

وهنا ينبغي الالتفات إلى أنّ التبيين لا ينجح بمجرد امتلاك الحقّ، بل يحتاج أيضاً إلى: بصيرة، شجاعة، ثبات، قدرة على مواجهة الرأي العام المنحرف؛ فالسيّدة زينب (عليها السلام) لم تخشَ السلطة، ولم تتراجع أمام تهويل الإعلام الأمويّ، بل واجهت يزيد في قلب سلطانه، وأسقطت الهيبة المعنويّة التي حاول اصطناعها لنفسه. ومن هنا نفهم كلام شهيد الأمة السيّد حسن نصر الله (رضوان الله عليه): «هنا انتصر الدم الحسينيّ والصوت الزينبيّ على السيف»²؛ فالسيف قد يقتل الجسد، لكنّ التبيين يهزم المشروع المنحرف، ويمنعه من السيطرة على العقول والذاكرة والتاريخ.

خطر غياب البصيرة في زمن الفتنة

إنّ واحدةً من أهمّ الدروس التي تكشفها عاشوراء هي أنّ كثيراً ممّن خذلوا الإمام الحسين (عليه السلام) لم يكونوا منكرين للإسلام بالعنوان الظاهريّ، بل كانوا يعيشون حالةً من اضطراب الوعي وضعف البصيرة؛ ولهذا ركّزت السيّدة زينب (عليها السلام) في خطابها على هذا الجانب، حين كشفت التناقض بين المظهر والواقع، وبين الادّعاء والحقيقة. فالإنسان قد يملك: العاطفة الدينيّة، أو

¹ المصدر نفسه.

² من كلام له (رضوان الله عليه)، بتاريخ 2022/08/04م.

الحماسة، أو الشعارات، لكنّه حين يفقد البصيرة قد يقف في صفّ الباطل وهو يظنّ أنّه يحسن صنعاً.

ومن هنا تأتي خطورة التضليل الإعلاميّ والشائعات والتحريف. فإنّ يزيد لم يكن يعتمد على القوّة العسكريّة فقط، بل امتلك: الولاة، والخطباء، ووعاظ السلاطين، والشعراء، وآلة الإشاعات؛ أيّ إنّه كان يدير حرباً على الوعي قبل أن تكون حرباً على الأجساد. ولهذا كان التبيين ضرورةً وجوديّةً لحفظ الدين والأمة.

وقد جاء عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَأَمَّا سُمِّيَتْ الشُّبُهَةُ شُبُهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ»¹. فالمشكلة في زمن الفتن ليست دائماً في وضوح الباطل، بل في التلبيس والتشويه.

إنّ مسؤوليّة المؤمن لا تقتصر على العاطفة تجاه الإمام الحسين (عليه السلام)، بل تشمل: الوعي، والتحليل، ومعرفة الحقائق، وعدم الانجرار خلف الدعاية والتضليل. لذا، فإنّ المجالس الحسينيّة يجب ألاّ تتحوّل إلى مجرد حالة وجدانيّة منفصلة عن الوعي، بل ينبغي أن تكون مدرسة بصيرة وتربية وإصلاح. يقول الإمام الخامنئيّ (قُدّس سرّه): «هكذا ينبغي أن يكون التوجّه في عزاء الإمام الحسين (عليه السلام): توسيع نطاق التبيين والإيضاح والتوعية»².

¹ السيّد الرضويّ، فحج البلاغة، ص81، الخطبة 38.

² من كلام له (قُدّس سرّه)، بتاريخ 2008/01/09م.

مسؤوليتنا في جهاد التبيين

إنّ الحديث عن التبيين في عاشوراء هو مسؤولية معاصرة؛ فنحن نعيش زمنًا تُستخدم فيه وسائل الإعلام والتواصل والتقنيات الحديثة لتشويه الحقائق، وصناعة الأكاذيب، وتزييف الوعي، وضرب القيم الدينيّة والأخلاقية. من هنا، فإنّ المؤمن ينبغي أن يستلهم من عاشوراء عدّة أمور:

أولاً: أن يطلب الحقيقة ولا يكون تابعاً لكلّ صوت، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾¹.

ثانياً: أن يتحمّل مسؤولية الوعي والتوعية، كلٌّ بحسب موقعه وقدرته، بالكلمة والموقف والأسلوب الحكيم.

ثالثاً: أن لا يخاف من قول الحقّ إذا اتّضح له، فإنّ زينب (عليها السلام) علّمتنا أنّ الكلمة قد تكون امتداداً للدم، وأنّ الصمت أحياناً يساهم في انتصار الباطل. رابعاً: أن نحافظ على أصالة المنبر الحسينيّ، فلا يتحوّل إلى منبر إثارة فارغة أو خطابٍ سطحيّ، بل يبقى منبراً للهداية والبصيرة والإصلاح.

إنّ عاشوراء كانت معركة وعي وبصيرة وتبيين، بدأها الإمام الحسين (عليه السلام) بالكلمة قبل الدم، واستكملتها زينب (عليها السلام) بالصوت بعد الشهادة. فإذا كان الإمام الحسين (عليه السلام) قد حفظ الدين بدمه، فإنّ زينب (عليها السلام) حفظت الثورة بتبيينها؛ ولهذا بقيت كربلاء حيّة في ضمير الأمة.

¹ سورة الحجرات، الآية 6.

الموعظة السادسة دولة الإمام المهديّ ثمرّة عاشوراء

هدف الموعظة

بيان أنّ دولة الإمام المهديّ (عجلّ الله تعالى فرجه) هي الامتداد الطبيعيّ للنهضة الحسينيّة، وأنّ الخير والعدالة في عصر الظهور هما ثمرّة الاستقامة والثبات على الخطّ الذي مثله الإمام الحسين (عليه السلام) بدمه وتضحياته.

محاوّر الموعظة

عاشوراء بداية مشروع إلهيّ
دولة الخير والعدل الشامل
لماذا حُرمت البشريّة هذا الخير؟
مسؤوليتنا في زمن الغيبة

تصدير الموعظة

﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾¹.

¹ سورة الجنّ، الآية 16.

عن الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾¹: «والله، ما نزل تأويلها بعد، ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم (عليه السلام)»².

عاشوراء بداية مشروع إلهي

قد يتصور بعض الناس أنّ كربلاء كانت حادثهً مأساويةً انتهت باستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، بينما تكشف روايات أهل العصمة (عليهم السلام) أنّ عاشوراء كانت بداية مشروع إلهي طويل يمتدّ إلى قيام الإمام المهديّ (عجل الله تعالى فرجه). فالحسين (عليه السلام) لم يخرج طلباً لسلطةٍ أو مُلك، وإتّما خرج ليحفظ الدين، ويمنع انحراف الأمة، ويؤسس خطّ الاستقامة في مواجهة خطّ الظلم والطغيان؛ ولذلك قال في وصيّته: «وَإِذَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، أُرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ»³. إنّ هذا المشروع الإصلاحيّ لم يتوقّف عند حدود كربلاء، بل بقي ممتدّاً عبر خطّ الإمامة، إلى أن يصل إلى قمته في دولة الإمام المهديّ (عجل الله تعالى فرجه)، حيث يتحقّق الوعد الإلهيّ الكامل بسيادة الحقّ والعدل الشامل، ومن هنا ورد في الروايات: «يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجوراً»⁴.

¹ سورة التوبة، الآية 33.

² الشيخ المفيد، كمال الدين وتمام النعمة، ص 670.

³ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 44، ص 329.

⁴ الشيخ الصدوق، الأمالي، ص 78.

إنّ دولة الإمام المهديّ (عجل الله تعالى فرجه) ليست مشروعاً منفصلاً عن عاشوراء، بل هي ثمرة الدم الحسينيّ، وقد ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾¹، قال: «هو الحسين بن عليّ (عليه السلام) قُتِلَ مَظْلُومًا ونحن أولياؤه، والقائم منّا، إذا قام منّا طلب بثأر الحسين»²؛ والمراد من طلب الثأر هنا ليس الانتقام العاطفيّ، بل إقامة المشروع الذي استشهد لأجله الإمام (عليه السلام)؛ أي إقامة العدل الإلهيّ الكامل، وإزالة أنظمة الظلم والانحراف. لهذا، فإنّ العلاقة بين عاشوراء والظهور علاقة عميقة، فعاشوراء تتمثّل التضحية من أجل بقاء الدين، والظهور يمثّل انتصار ذلك الدين عالمياً.

دولة الخير والعدل الشامل

حين تتحدّث الروايات عن عصر الظهور، فإنّها لا تتحدّث عن تحسّن جزئيّ أو محدود، بل عن تحوّل عالميّ شامل في حياة الإنسان. فالقرآن الكريم يربط بين الاستقامة والخير، قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾، وهذه الآية تكشف سنّة إلهيّة ثابتة، مفادها أنّ المجتمعات حين تسير على منهج الله، تنزل عليها البركات، وتُفتح أمامها أبواب الخير. ودولة الإمام المهديّ (عجل الله تعالى فرجه) هي أكمل مصاديق هذه الاستقامة؛ لأنّها دولة الحقّ الكامل والعدل الكامل، ولذلك تكون أيضاً دولة الخير العميم، عن رسول

¹ سورة الإسراء، الآية 33.

² العياشيّ، تفسير العياشيّ، ج2، ص290.

الله (صلى الله عليه وآله): «يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا، وَلَا تَحْبَسُ الْأَرْضُ شَيْئًا مِنْ نَبَاتِهَا، وَيَكُونُ الْمَالُ كَدُوسًا»¹، وفي رواية أخرى: «وتزيد المياه في دولته، وتمدُّ الأنهار، وتضعفُ الأرضُ أكلها، وتُستخرجُ الكنوزُ كلها»².

إنَّ الروايات تصوّر لنا عالماً مختلفاً: الأرض تُخرج كنوزها، السماء تفيض بركاتها، الفقر يتلاشى، الظلم الاقتصادي ينتهي، الاحتكار والطمع والاستغلال تزول... والمهم أن القضية هنا لا تكون قضية رياء ماديّ فحسب، بل إنَّ هذا الخير كله يكون مرتبطاً بمنظومة العدل الإلهي. ففي زماننا قد تمتلك بعض الدول ثروات هائلة، ومع ذلك يعيش الناس الفقر والحرمان؛ لأنَّ المشكلة ليست دائماً في قلة الموارد، بل في الظلم والفساد وسوء التوزيع والظغيان. أمّا في دولة الإمام المهديّ (عجل الله تعالى فرجه)، فإنَّ العدل هو الذي يحكم، فلا احتكار، ولا سرقة للشعوب، ولا استغلال للضعفاء، ولا هيمنة للطغاة على مقدّرات الناس؛ ولهذا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ويجعلُ اللهُ الغنى في قلوبِ هذه الأمة»³؛ أي إنَّ القضية ليست إغناء الجيوب فقط، بل إغناء النفوس أيضاً، بحيث يعيش الإنسان حالة القناعة والطمأنينة والاستقرار.

لماذا حرمت البشرية هذا الخير؟

إذا كانت سنة الله أن الاستقامة تجلب الخير، فلماذا تعيش البشرية كل هذا الظلم

¹ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج36، ص369.

² المقدسي، عقد الدرر في أخبار المنتظر، ص84.

³ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج51، ص84.

والحرمان والحروب؟

لأنّ الإنسان ابتعد عن منهج الله، واستبدل الظلم بالعدل، والفساد بالطاعة، والأهواء بالحق؛ ولذلك فإنّ الإمام الحسين (عليه السلام) وصف واقع السلطة الأمويّة بقوله: «إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَرِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَّحْمَانِ، فَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ، وَأَبْطَلُوا الْحُدُودَ، وَاسْتَأْتَرُوا بِالْفِيءِ...»¹. فالفساد لا يدمّر الأخلاق فقط، بل يدمّر الحياة كلّها: يخلق الفقر، وينشر الحروب، ويمنع البركات، ويحوّل ثروات الأرض إلى أدوات ظلم واستعباد؛ ولهذا فإنّ عاشوراء كانت معركةً لإنقاذ الإنسان من هذا الانحراف، والإمام الحسين (عليه السلام) كان يدافع عن مستقبل الإنسانية كلّها؛ لأنّ بقاء خطّ الحقّ هو الذي يمهد لقيام دولة العدل الإلهي في آخر الزمان.

من هنا، نفهم أنّ الانتظار الحقيقيّ للإمام المهديّ (عجل الله تعالى فرجه) هو التزام بخطّ الإمام الحسين (عليه السلام)، في الاستقامة، والوعي، ومواجهة الظلم، والثبات على الحقّ؛ ولهذا جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام): «مَنْ سَرَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْقَائِمِ، فَلْيَنْتَظِرْ، وَلْيَعْمَلْ بِالْوَرَعِ وَمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ وَهُوَ مُنْتَظَرٌ»²؛ فالمنتظر الحقيقيّ هو الذي يهيمّ نفسه ليكون جزءاً من مشروع العدل الإلهي.

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، ج3، ص171.

² النعماني، الغيبة، ص207.

مسؤوليتنا في زمن الغيبة

إنّ الحديث عن دولة الإمام المهديّ (عجل الله تعالى فرجه) ينبغي أن ينعكس على سلوكنا ومسؤوليتنا اليوم؛ فإذا كنّا نؤمن أنّ الإمام سيقيم دولة العدل، فعلينا أن نكون من أهل العدل. وإذا كنّا نؤمن أنّه سيحارب الظلم، فلا يجوز أن نكون جزءاً من الظلم. وإذا كنّا نؤمن أنّه سيقيم دولة الاستقامة، فلا بدّ أن نسير على طريق الاستقامة. ولهذا، فإنّ المجالس الحسينية ينبغي أن تصنع الإنسان الواعي، والمؤمن الثابت، والمنتظر المسؤول، والرافض للباطل والانحراف.

إنّ العلاقة بين عاشوراء والظهور علاقة مشروع ومسار؛ فكريلاء تعلّمنا الصبر، والتضحية، والثبات، ورفض الدلّ، وهذه كلّها صفات المجتمع الذي يتهيأ لدولة الإمام المهديّ (عجل الله تعالى فرجه)، وقد ورد في الأثر: «فلا يبقى في الأرض خرابٌ إلا عمّراً»¹، وهذا الإعمار لا يقتصر على الأبنية والزراعة، بل يشمل إعمار الإنسان بالإيمان، وإعمار المجتمع بالعدل، وإعمار الحياة بالقيم الإلهية.

إنّ دولة الإمام المهديّ (عجل الله تعالى فرجه) ليست حلمًا، إنّها وعدٌ إلهيّ أكّده الآيات والروايات، وهي ليست قطيعةً مع عاشوراء، بل الامتداد الطبيعيّ لها، فالإمام الحسين (عليه السلام) حفظ خطّ الحقّ بدمه، والإمام المهديّ (عجل الله تعالى فرجه) سيظهر هذا الحقّ على الدين كلّه.

¹ الشيخ الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى، ج2، ص292.

الموعظة السابعة الوفاء في مدرسة كربلاء

هدف الموعظة

بيان أنّ جوهر عاشوراء هو صناعة الإنسان الوفيّ الثابت على الحقّ، الذي لا يترك إمامه وقضيّته مهما اشتدّت التحدّيات، وأنّ شعار «ما تركتك يا حسين» يجب أن يتحوّل إلى موقفٍ عمليّ في الوعي، والثبات، والجهد، ومواجهة الباطل، والتضحية في سبيل الحقّ.

محاوّر الموعظة

ليلة عاشوراء امتحان الوفاء الحقيقيّ
رفض الاستسلام للباطل
النداء المستمرّ عبر التاريخ
معنى التضحية والرضا

تصدير الموعظة

﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾¹.

¹ سورة الأحزاب، الآية 23.

ليلة عاشوراء امتحان الوفاء الحقيقي

تُظهر لنا ليلة عاشوراء واحدةً من أعظم صور الصدق والوفاء في التاريخ؛ فالإمام الحسين (عليه السلام) لم يُرد أن يأخذ أحداً معه بالقهر أو بالإجراج العاطفي، بل جمع أصحابه عند المساء، بعد أن أصبحت صورة المصير واضحةً تماماً، وقال لهم: «أَلَا وَإِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ، فَانْطَلِقُوا جَمِيعاً فِي حِلِّ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنِّي ذِمَامٌ، هَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَالاً»¹. كان بإمكانهم أن يرحلوا، ولم يكن أحدٌ ليلومهم؛ فالعدوّ عشرات الآلاف، والنهاية محسومة ظاهراً، لكن أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) كشفوا في تلك الليلة عن معدنهم الحقيقي، فقام مسلم بن عوسجة قائلاً: «وَاللَّهِ، لَوْ عَلِمْتُ أَبِي أُقْتَلُ، ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أُحْرَقُ، ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أُذْرَى، يُفْعَلُ ذَلِكَ بِي سَبْعِينَ مَرَّةً مَا فَارَقْتُكَ حَتَّى أَلْقَى جَمَامِي دُونَكَ»².

إنّ مثل هذه الكلمات تعبر عن بصيرة عميقة؛ لأنهم فهموا أنّ القضية ليست حياة شخصٍ أو موت شخص، بل بقاء الدين والحقّ والكرامة؛ ولذلك قال الإمام الحسين (عليه السلام): «أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لَا يُعْمَلُ بِهِ، وَأَنَّ الْبَاطِلَ لَا يُنْتَهَى عَنْهُ؟ لِيَرْغَبِ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ رَبِّهِ مُحِقّاً»³.

¹ الشيخ المفيد، الإرشاد، ج2، ص91.

² الشيخ المفيد، الإرشاد، ج2، ص92.

³ السيّد ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص48.

وإنّ من أعظم ما قد يُبتلى به الإنسان ضعف الوفاء، فكثيرون كانوا مع الإمام الحسين (عليه السلام) في الطريق، لكنّهم تراجعوا عندما اقتربت ساعة التضحية؛ أمّا أهل الوفاء الحقيقيّ، فقد ثبتوا عندما اهتزّت القلوب وتزلزلت النفوس. ومن هنا، فإنّ عاشوراء تعلّمنا أنّ قيمة الإنسان ليست بما يقوله في ساعات الرخاء والهدوء، بل بما يثبت عليه ساعة الامتحان والشدة، وقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «عِنْدَ الْاِمْتِحَانِ يُكْرَمُ الرَّجُلُ أَوْ يُهَانُ»¹، وكربلاء كانت أعظم امتحانٍ للوفاء في التاريخ.

رفض الاستسلام للباطل

لم تكن معركة الإمام الحسين (عليه السلام) معركةً عسكريّةً فقط، بل كانت معركة موقفٍ وهويّة. فقد أراد يزيد من الإمام (عليه السلام) أن يمنحه الشرعيّة، وأن يوقع باسم الإسلام على مشروع الظلم والانحراف؛ ولذلك أعلن الإمام الحسين (عليه السلام) موقفه الخالد: «أَلَا إِنَّ الدَّعِيَّ بْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ: بَيْنَ السِّلَّةِ وَالدِّلَّةِ، وَهَيْهَاتَ مِنَّا الدِّلَّةُ»².

إنّ الدلّة التي رفضها الإمام الحسين (عليه السلام) هي القبول بحكم الباطل، والاستسلام للطغيان، والتخلّي عن الحقّ من أجل السلامة والمصالح؛ ولهذا كانت مدرسته (عليه السلام) مدرسة عزّة وكرامة، وقد أكّد القرآن هذا المعنى بقوله

¹ الليثيّ الواسطيّ، عيون الحكم والمواعظ، ص 337.

² المسعوديّ، إثبات الوصيّة، ص 166.

تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾¹.

إنّ بعض الناس يظنّ أنّ القوّة تعني كثرة العدد والسلاح، لكنّ كربلاء أثبتت أنّ القوّة الحقيقيّة هي قوّة الموقف والثبات، فالإمام الحسين (عليه السلام) كان مع ثلّة قليلة، لكنّه أسقط مشروع بني أميّة أخلاقياً وتاريخياً، بينما بقي يزيد رمزاً للطغيان والانحراف. وفي هذا المعنى يقول شهيدنا الأسمى (رضوان الله عليه): «نقول لكلّ الذين يراهنون على إخافتنا أو إضعافنا أو تهديدنا: نحن أصحاب أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، الذي يقول: هيهات منّا الذلّة»²، فمدرسة الإمام الحسين (عليه السلام) خطّ مواجهةٍ دائمٍ لكلّ ظلمٍ واستكبار.

ولذلك فإنّ أخطر ما يواجه الأمة ليس الهزيمة العسكريّة فقط، بل الهزيمة النفسيّة والثقافيّة، حين يعتاد الناس على الظلم، أو يبرّزون للباطل، أو يخافون من قول كلمة الحقّ، وقد قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»³.

النداء المستمرّ عبر التاريخ

حين بقي الإمام الحسين (عليه السلام) وحيداً بعد استشهاد أصحابه وأهل

¹ سورة آل عمران، الآية 139.

² من كلامٍ له (رضوان الله عليه) يوم العاشر من محرّم، بتاريخ 2011/12/06م.

³ الشيخ الكليني، الكافي، ج5، ص60.

بيته، أطلق ذلك النداء الخالد: «هَلْ مِنْ نَاصِرٍ يَنْصُرُنِي؟»¹. هذا النداء لم يكن موجّهاً فقط إلى مَنْ كانوا في كربلاء، بل إلى الأجيال كلّها؛ ولذلك قال شهيدنا الأسمى (رضوان الله عليه): «كان النداء لكلّ أولئك الذين تحتضنهم طوال التاريخ إلى يوم القيامة أصلاب الرجال وأرحام النساء»².

إنّ نصرته الحسين (عليه السلام) لا تعني مجرّد البكاء، مع عظمة البكاء ومكانته، بل تعني الوقوف مع الحقّ حيث كان، ومواجهة الباطل حيث كان؛ فالإمام الحسين (عليه السلام) مشروع هداية وإصلاح. ومن هنا، فإنّ كلّ مَنْ يواجه الظلم، ويثبت على الحقّ، ويحفظ دينه وقيمه، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، إنّما يجب عملياً: «لبيك يا حسين».

وقد لخصّ عليّ الأكبر (عليه السلام) حقيقة هذا الطريق عندما قال لأبيه: «أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ؟ إِذَا لَا نُبَالِي، أَوْقَعْنَا عَلَى الْمَوْتِ أَمْ وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْنَا»³. هذه هي العقيدة التي تصنع الثبات؛ لأنّ الإنسان إذا أيقن أنّه على الحقّ، صغرت أمامه التضحيات. أمّا إذا فقد البصيرة، فإنّه قد يبيع دينه وموقفه خوفاً على مصلحةٍ زائلة؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾⁴، فالمؤمن الحقيقيّ رابحٌ في كلّ الأحوال: إمّا نصرٌ بعزّة، وإمّا شهادةٌ وكرامة.

¹ راجع: العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 42، ص 264.

² من كلام له (رضوان الله عليه) يوم العاشر من محرم، بتاريخ 2011/12/06م.

³ راجع: الشيخ المفيد، الإرشاد، ج 2، ص 82.

⁴ سورة التوبة، الآية 52.

معنى التضحية والرضا

من أعظم المشاهد التي تكشف عظمة عاشوراء موقف السيّدة زينب (عليها السلام) بعد الفاجعة الكبرى، فقد خسرت إخوانها وأبناءها وأحبّتها، ورأت الأجساد المقطّعة على رمضاء كربلاء، ومع ذلك رفعت رأسها إلى السماء وقالت: «اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا هَذَا الْقُرْبَانَ». إنّه مقام الرضا بالله والثقة بوعده. فزينب (عليها السلام) لم تنظر إلى كربلاء كخسارةٍ دنيويّة، بل كقربانٍ في سبيل حفظ الدين والحقّ، وهذا ما يؤكّده القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾¹.

إنّ التضحية في مدرسة الإمام الحسين (عليه السلام) ليست حبّاً بالموت، بل حبّاً لله والحقّ والكرامة؛ ولذلك لم يكن أصحاب الإمام (عليه السلام) أهل يأسٍ أو هزيمة، بل كانوا أهل يقينٍ وطمأنينة. وقد نقل التاريخ أنّ وجوههم كانت تشرق كلّما اقتربت ساعة الشهادة.

وهنا يجب أن نفهم أنّ عاشوراء لا تريد منّا فقط أن نحزن، بل أن نتغيّر. أن نصبح أكثر وفاءً، وأكثر شجاعةً، وأكثر استعداداً لتحمل المسؤوليّة. فالإمام الحسين (عليه السلام) يحتاج أمةً تحمل مشروعه في الإصلاح والثبات ومواجهة الباطل.

¹ سورة التوبة، الآية 111.

الموعظة الثامنة الصبر ثبات الأحرار

هدف الموعظة

بيان أنّ الصبر في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) قوّةٌ روحيةٌ وثباتٌ على الحقّ، وأنّ الإمام الحسين (عليه السلام) جسّد أعلى مراتب الصبر والثبات والحريّة، بما يجعل عاشوراء مدرسةً لصناعة الإنسان المؤمن الصابر الحرّ.

محاور الموعظة

الصبر في المفهوم الإسلامي
أنواع الصبر وأشدّها صعوبة
الإمام الحسين (عليه السلام) فمّة الصبر والثبات
الصبر يعني البقاء في الساحة

تصدير الموعظة

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾¹.
الإمام الصادق (عليه السلام): «إِنَّ الْحُرَّ حُرٌّ عَلَى جَمِيعِ أَحْوَالِهِ؛ إِنْ نَابَتْهُ نَائِبَةٌ صَبَرَ لَهَا، وَإِنْ تَدَاكَتْ عَلَيْهِ الْمَصَائِبُ لَمْ تَكْسِرْهُ...»².

¹ سورة البقرة، الآيات 155 - 157.

² الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص89.

الصبر في المفهوم الإسلاميّ

حين يُذكر الصبر، يتبادر إلى الذهن غالباً تحمّل المصائب والبكاء المكتوم على الآلام، لكنّ الإسلام قدّم مفهوماً أوسع وأعمق للصبر. فالصبر في حقيقته ثباتٌ واعٍ، ورباطة جأش، وقدرة على الوقوف في موقع التكليف مهما اشتدّت الضغوط؛ ولذلك عبّر الإمام الصادق (عليه السلام) عن الإنسان الحزّ بقوله: «إِنَّ الْحَزَّ حُرٌّ عَلَى جَمِيعِ أَحْوَالِهِ...». فالحزّ الحقيقيّ ليس من يملك المال أو السلطة أو النفوذ، وإمّا من لا تهزّمه الشدائد، ولا تكسره المصائب، ولا تدفعه الضغوط إلى التنازل عن الحقّ. وقد أكّد القرآن الكريم عظيم منزلة الصابرين، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾¹، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾²، وقال: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾³... فتأقّلوا في هذه المنزلة؛ محبة الله، ومعية الله، ورحمة الله، والهداية من الله، كلّها تُعطى للصابرين.

وعن الإمام زين العابدين (عليه السلام): «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له»⁴، فكما أنّ الجسد لا حياة له بلا رأس،

¹ سورة آل عمران، الآية 146.

² سورة الأنفال، الآية 46.

³ سورة الزمر، الآية 10.

⁴ الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص89.

كذلك الإيمان لا ثبات له بلا صبر؛ لأنَّ الإنسان في طريق الحقِّ سيواجه ابتلاءات، وشهوات، وضغوطاً، ومغريات، ومخاوف، فإذا لم يمتلك صفة الصبر سيسقط عند أول امتحان. وبناءً عليه، نفهم أنَّ الصبر في المنظور الإسلامي هو أساس الثبات على العقيدة والموقف.

أنواع الصبر وأشدّها صعوبة

ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الصَّبْرُ ثَلَاثَةٌ: صَبْرٌ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ، وَصَبْرٌ عَلَى الطَّاعَةِ، وَصَبْرٌ عَنِ الْمَعْصِيَةِ»¹، وهذه الأنواع الثلاثة تحتاج إلى تأمل.

أولاً: الصبر عند المصيبة

وهو أشهر أنواع الصبر، كالصبر على المرض، وفقد الأحبة، والفقر، والظلم، والحروب، والشدائد. وهذا النوع يكشف معدن الإنسان الحقيقي، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): «إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدْرُ وَأَنْتَ مَأْجُورٌ، وَإِنْ جَزَعْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدْرُ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ»²؛ أي إنَّ المصيبة ستقع في كلّ الأحوال، لكنَّ الفرق أنَّ المؤمن بالصبر يحوّل المصيبة إلى عبادةٍ وأجرٍ وقربٍ من الله.

ولذلك، فإنَّ الإسلام لا يرفض الحزن الطبيعي ولا البكاء؛ فقد بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله) على ابنه إبراهيم، وقال: «تدمع العين، ويجزن القلب،

¹ الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص91.

² السيّد رضي، فحج البلاغة، ص527، الحكمة 291.

ولا نقول ما يسخط الربّ، وإنّا بك - يا إبراهيم - لمحزونون»¹. فالممنوع هو الجزع الذي يدفع الإنسان إلى الاعتراض على الله، أو السقوط الأخلاقي، أو الأتخيار أمام البلاء.

ثانياً: الصبر على الطاعة

وهذا من أصعب أنواع الصبر؛ لأنّ النفس تميل إلى الراحة والتفكّت؛ فالمحافظة على الصلاة، وغيض البصر، والالتزام بالحلال والحرام، والثبات على القيم، كلّ ذلك يحتاج إلى صبرٍ يوميّ، عن الإمام الصادق (عليه السلام): «اصبروا على طاعة الله، وتصبروا عن معصية الله، فإنّما الدنيا ساعة...»². فالإنسان أحياناً يحتاج إلى صبرٍ كي يستيقظ لصلاة الفجر، ويحتاج إلى صبرٍ كي يلتزم بالعقّة، ويحتاج إلى صبرٍ كي لا يظلم أو يعتاب أو يخون أو ينحرف مع التيّار.

ثالثاً: الصبر عن المعصية

وهذا النوع يكشف قوّة الإرادة الحقيقيّة. فالإنسان قد يستطيع تحمّل الألم، لكنّه قد ينهار أمام شهوة أو خوف أو طمع؛ ولذلك فإنّ كثيراً من الناس يسقطون لا لأنّهم لا يعرفون الحقّ، بل لأنّهم لا يصبرون على كلفة الالتزام به. وهنا تتجلّى عظمة أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام)، في أنّهم كانوا رجالاً صبروا على الطاعة، وصبروا عن المعصية، وصبروا عند المصيبة، فاستحقّوا الخلود.

¹ الشيخ الكليني، الكافي، ج3، ص263.

² المصدر نفسه، ج2، ص459.

الإمام الحسين (عليه السلام) مِّمَّة الصبر والثبات

إذا أردنا أن نرى الصبر متجسداً في إنسان، فلن نجد أعظم من الإمام الحسين (عليه السلام). لقد واجه (عليه السلام) في كربلاء كل أنواع البلاء: خذلان الأمة، قلّة الناصر، حصار الماء، مقتل الأصحاب، استشهاد أهل بيته، مصرع ولده عليّ الأكبر، رضيع يُذبح بين يديه... ثم يقف مع ذلك كله ثابتاً لا يتراجع، حفاظاً على الدين والكرامة والحق؛ ولهذا أعلن موقفه الخالد: «ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين؛ بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة»¹، وهذه المقولة هي تعريفٌ حقيقيٌّ للصبر؛ لأنّ الصبر ليس أن يتحمّل الإنسان الألم فقط، بل أن يبقى ثابتاً على المبدأ مهما ارتفع الثمن.

وقال (عليه السلام): «والله، لا أعطيكُم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد»²، إنّه يعلن أنّ الإنسان المؤمن قد يُقتل، وقد يُحاصر، وقد يُظلم، لكنّه لا يفقد حرّيّته الداخليّة.

ومن هنا نفهم كلام الإمام الصادق (عليه السلام): «إنّ الحرّ حرّ على جميع أحواله»، فالحسين (عليه السلام) كان حرّاً وهو محاصر، وكان حرّاً وهو عطشان، وكان حرّاً وهو ينظر إلى السيوف والرماح؛ لأنّ الحرّيّة الحقيقيّة ليست في الجسد، بل في الموقف؛ ولذلك قال (عليه السلام): «إني لا أرى الموت إلّا سعادة،

¹ السيّد ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص 59.

² الشيخ المفيد، الإرشاد، ج 1، ص 98.

والحياة مع الظالمين إلا برماً¹. فالإنسان الذي يفقد مبدأه وكرامته وقيمه، لا معنى لحياته وإن عاش طويلاً.

الصبر يعني البقاء في الساحة

من أخطر ما يواجه الإنسان في زمن الفتن أنه ينسحب من الميدان، أو يعتزل التكليف، أو ينهزم نفسياً أمام الضغوط، وقد عبّر الإمام الخامنئي (قُدس سرّه) عن معنى دقيق للصبر حين قال: «الصبر يعني البقاء في الساحة»²؛ أي إنّ الصابر ليس من يجلس بعيداً عن المواجهة، بل من يبقى ثابتاً في موقعه، لا تخرجه الضغوط، ولا تُسقطه الحروب النفسية، ولا تزرع فيه الهزيمة.

وهذا ما تعلّمناه من عاشوراء، فأصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) لم يكونوا غافلين عمّا ينتظرهم، بل كانوا يعلمون أنّ النهاية شهادة، ومع ذلك بقوا في الساحة، ولم يقل أحدٌ منهم: «لا فائدة»، أو «المعركة محسومة»، أو «الواقع أقوى منّا».

إنّ مدرسة الإمام الحسين (عليه السلام) تعلّمنا أنّ المؤمن بحجم الثبات على الحقّ؛ ولهذا فإنّ الإنسان حين يصبر، فهو في الحقيقة يربّي نفسه، ويقوّي إرادته، ويصنع شخصيته الإيمانية.

¹ القاضي النعمان المغربي، شرح الأخبار، ج3، ص150.

² من كلام له (قُدس سرّه)، بتاريخ 2018/06/30م.

الموعظة التاسعة آداب العاشر من محرم

هدف الموعظة

بيان أنّ إحياء يوم العاشر لا يقتصر على العاطفة والبكاء فحسب، بل هو التزامٌ عمليٌّ بآداب وسلوكٍ أرشدت إليها الروايات، بحيث يتحوّل هذا اليوم إلى مدرسةٍ تربويّةٍ تربط المؤمن بالإمام الحسين (عليه السلام)، وتُرسِّخ في نفسه معاني الولاء والوعي والتسليم لله تعالى.

محاوِر الموعظة

عاشوراء قضية حيّة

آداب يوم عاشوراء

تصديِر الموعظة

الإمام الرضا (عليه السلام): «مَنْ كَانَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ يَوْمَ مُصِيبَتِهِ وَحُزْنِهِ وَبُكَائِهِ، يَجْعَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ فَرَجِهِ وَسُرُورِهِ»¹.

¹ الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج1، ص227.

عاشوراء قضية حيّة

إنّ من دلائل عظمة الإمام الحسين (عليه السلام) أنّ شهادته بقيت حيّة نابضة في ضمير الأمة. فكم من أحداثٍ عظيمةٍ مرّت على التاريخ ثمّ تلاشت، بينما بقيت كربلاء حاضرةً في الوجدان، يحييها الملايين جيلاً بعد جيل.

وهذا البقاء ليس أمراً عاطفياً فقط، بل لأنّ نهضة الحسين (عليه السلام) كانت نهضة حقّ في مواجهة الباطل، ونهضة دينٍ في مواجهة الانحراف. ولذلك فإنّ إحياء عاشوراء يعني إحياء القيم التي استشهد من أجلها الإمام الحسين (عليه السلام): العدل، والكرامة، والوفاء، والثبات، ورفض الذلّ والانحراف.

وقد حرص أئمة أهل البيت (عليهم السلام) على تثبيت هذه الشعائر؛ لأنّها تحفظ الدين حياً في نفوس الناس، فعن الإمام الصادق (عليه السلام): «أحيوا أمرنا، رحم الله من أحيانا أمرنا».

إنّ عاشوراء ليست مجرد مناسبةٍ للبكاء، وإن كان البكاء فيها عبادةً عظيمة، بل هي يوم مراجعةٍ للنفس: أين نحن من خطّ الإمام الحسين؟ هل نملك روح التضحية التي امتلكها أصحابه؟ هل نحفظ ديننا عند الفتن؟ هل نقدّم طاعة الله على أهوائنا ومصالحنا؟

آداب يوم عاشوراء

بيّنت روايات أهل البيت (عليهم السلام) أنّ ليوم عاشوراء آداباً خاصّة، تُظهر حجم المصاب وعظمة الفاجعة. يقول الشيخ المفيد (رحمه الله): «وفي العاشر

مِنَ الْحَرَمِ قُتِلَ الْحُسَيْنُ (عليه السلام)، وجاءت الروايةُ عَنِ الصَّادِقِ (عليه السلام) باجتناِبِ المَلَاذِ فِيهِ، وإقامةِ سُنَنِ المصائبِ، والإمساكِ عَنِ الطَّعامِ والشَّرَابِ إِلَى أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ، والتغذِّي بِعَدَدِ ذَلِكَ بما يَتَغَدَّى بِهِ أَصْحَابُ المصائبِ»¹.
ومن الآدابِ فِي هَذَا اليَوْمِ:

أولاً: زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)

زيارة الحسين (عليه السلام) يَوْمَ العاشرِ مِنْ أَعْظَمِ الأَعْمَالِ، فعن الإمام الباقر (عليه السلام): «مَنْ زَارَ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ (عليهما السلام) فِي يَوْمِ عاشوراءَ مِنْ الْحَرَمِ يَظُلُّ عِنْدَهُ بِأَكْبَرِ، لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ يَلْقَاهُ بِثَوَابِ أَلْفِي حِجَّةٍ وَأَلْفِي عُمْرَةٍ وَأَلْفِي غَزْوَةٍ، كَثُوبِ مَنْ حَجَّ وَاعْتَمَرَ وَغَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَمَعَ الْأَئِمَّةِ الرَّاشِدِينَ...»².

ثمَّ إِنَّ الإمام (عليه السلام) لَمْ يَحْصُرِ الزِّيَارَةَ بِمَنْ كَانَ قَرِيباً مِنْ كَرْبَلَاءَ، بَلْ فَتَحَ البَابَ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ، فَقَالَ عَمَّنْ كَانَ فِي بَعِيدِ البِلَادِ وَأَقاصِيهَا، وَلَمْ يُمْكِنِ المَسِيرَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ: «إِذَا كَانَ كَذَلِكَ بَرَزَ إِلَى الصَّحْرَاءِ أَوْ صَعَدَ سَطْحاً مَرْتَفِعاً فِي دَارِهِ وَأَوْماً إِلَيْهِ بِالسَّلَامِ، وَاجْتَهَدَ فِي الدُّعَاءِ عَلَى قَاتِلِيهِ، وَصَلَّى مِنْ بَعْدِ رَكَعَتَيْنِ، وَلِيَكُنْ ذَلِكَ فِي صَدْرِ النَّهَارِ قَبْلَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ»³، وَهَذَا يَكْشِفُ

¹ الشيخ الحزّ العاملي، وسائل الشيعة، ج14، ص505.

² الشيخ الطوسي، مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد، ج2، ص772.

³ المصدر نفسه.

أَنَّ العلاقة بالإمام الحسين (عليه السلام) ليست علاقة مكانٍ فحسب، بل علاقة قلبٍ وولاءٍ وارتباط.

ثانياً: الندب والبكاء

إِنَّ البكاء على الإمام الحسين (عليه السلام) تعبيرٌ عن الانتماء إلى خطِّ الحقِّ؛ ولذلك أَكَّدته الروايات تأكيداً عظيماً، فعن الإمام الباقر (عليه السلام): «**ثُمَّ لِيَنْدُبِ الْحُسَيْنَ (عَلَيْهِ السَّلَام) وَيَبْكِيهِ، وَيَأْمُرُ مَنْ فِي دَارِهِ مِمَّنْ لَا يَتَّقِيهِ بِالْبُكَاءِ عَلَيْهِ**»¹.

إِنَّ الدموع التي تُسكب على الحسين (عليه السلام) ليست دموع عاطفةٍ مجردة، بل دموع موقف؛ لأنَّ من يبكي الحسين بحقِّ لا يمكن أن يرضى بالظلم، ولا أن يتخلَّى عن القيم التي قُتِل من أجلها؛ ولذلك كان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يحيون هذه الذكرى بالحزن الواضح، فقد روي أَنَّ الإمام الرضا (عليه السلام) كان إذا دخل شهر محرمٍ لا يُرى ضاحكاً، وتغلب عليه الكآبة والحزن.

ثالثاً: التعزية والمواساة

إِنَّ من أهمِّ آداب عاشوراء أن يشعر المؤمن أنه يشارك رسول الله محمد بن عبد الله وأهل بيته (عليهم السلام) هذا المصاب، ففي الرواية عن الإمام الباقر (عليه السلام): «**وَلْيُعَزِّرْ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِمَصَابِحِهِم بِالْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) ... تَقُولُونَ:**

¹ المصدر نفسه.

أَعْظَمَ اللَّهُ أَجُورَنَا بِمَصَابِنَا بِالْحُسَيْنِ، وَجَعَلْنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ الطَّالِبِينَ بِثَأْرِهِ مَعَ وَلِيِّهِ
الإمام المهديِّ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ (عليهم السلام)»¹.

إنّ هذه التعزية هي إعلان انتماء إلى هذا الخطّ المبارك، وربط بين عاشوراء وبين مشروع الإمام المهديِّ (عجل الله تعالى فرجه)؛ فالقضية لم تنته في كربلاء، بل ما زال خطّ المواجهة بين الحقّ والباطل قائماً، وما زال المؤمن مطالباً بأن يكون في جبهة الحسين (عليه السلام)، فكراً وموقفاً وسلوكاً.

رابعاً: الانصراف عن حوائج الدنيا

ولهذا ينبغي للمؤمن في عاشوراء أن يتعد عن أجواء اللهو والانشغال بالدنيا، وأن يجعل هذا اليوم يوم حزنٍ ومواساة، وقد ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام):
«وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَنْشِرَ يَوْمَكَ بِحَاجَةٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّهُ يَوْمٌ نَحْسٍ لَا تُقْضَى فِيهِ حَاجَةٌ مُؤْمِنٍ، فَإِنْ قُضِيَتْ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهَا، وَلَمْ يَرِ رُشْدًا. وَلَا يَدَّخِرَنَّ أَحَدُكُمْ بِمَنْزِلِهِ شَيْئًا، فَمَنْ ادَّخَرَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ شَيْئًا لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِي مَا ادَّخَرَ، وَلَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِي أَهْلِهِ»²؛ أي إنّ المؤمن لا يجعل عاشوراء يوماً للتوسع في أمور الدنيا والتجارة والفرح، بل يوماً يستحضر فيه مصيبة أهل البيت (عليهم السلام).

خامساً: استحضار مصاب أهل البيت ومشاركتهم

حين نبكي الحسين (عليه السلام)، ينبغي أن لا ننسى أنّ هناك قلوباً احترقت

¹ المصدر نفسه.

² الشيخ الطوسي، مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد، ج2، ص773.

يوم عاشوراء أكثر متناً: قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقلب الزهراء (عليها السلام)، وقلب أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقلوب أهل البيت (عليهم السلام) الذين شاهدوا المأساة. وقد ورد عن ابن عباس أنه قال: حضرتُ عند أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذي قار، فأخرج صحيفةً بخطه وإملاء النبي (صلى الله عليه وآله)، وفيها مقتل الحسين (عليه السلام)، فبكى بكاءً شديداً وأبكاني.

هذا يعني أنّ مصيبة الحسين (عليه السلام) لم تبدأ في كربلاء فقط، بل كانت جرحاً مفتوحاً في قلب النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) قبل وقوعها بسنوات. ومن هنا، فإنّ المؤمن حين يحضر مجلس عزاءٍ أو يبكي على الإمام الحسين (عليه السلام)، ينبغي أن يستحضر أنه يواسي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ويقف إلى جانب أهل البيت (عليهم السلام) في مصابهم، وهذا الاستحضر يحوّل العزاء من عادة اجتماعية إلى عبادة واعية.

إنّ عاشوراء هو يوم صنع الهوية الإيمانية للأحرار؛ ولذلك أراد أهل البيت (عليهم السلام) للمؤمنين أن يحيوا هذا اليوم بوعيٍّ ومسؤولية، من خلال الزيارة، والبكاء، والتعزية، وترك الانشغال بالدنيا، واستحضار عظمة المصاب؛ فالحسين (عليه السلام) لا يريد متناً دموعاً فارغة، بل يريد قلوباً ثابتة، ومواقف صادقة، والتزاماً بخطّ الحقّ الذي استشهد من أجله.

الموعظة العاشرة عاشوراء مدرسة الإصلاح والمقاومة

هدفُ الموعظة

بيانُ أنّ نَهضةَ الإمام الحسين (عليه السلام) كانت مشروعاً إصلاحياً قائماً على حفظ الدين وصيانة كرامة الإنسان ورفض الخضوع، وأنها ما تزال تمثل منهجاً عملياً في مواجهة الظلم والانحراف في كلِّ زمان.

محاور الموعظة

النهضة الحسينية مشروع إصلاح
الكرامة فوق الحياة
عاشوراء تصنع الحرّية
عاشوراء اليوم بين خطِّ المقاومة وخطِّ الاستسلام

تصدير الموعظة

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾¹.

¹ سورة آل عمران، الآية 139.

النهضة الحسينية مشروع إصلاح

حينَ خرج الإمام الحسين (عليه السلام) من المدينة إلى مكة، ثم إلى كربلاء، خرج بدافعٍ شرعيٍّ وأخلاقيٍّ لإنقاذ الأمة من الانحراف الذي أصابها؛ فقد رأى (عليه السلام) أنّ الحكم الأمويّ قد حوّل الخلافة إلى ملكٍ عضوض، وصادر إرادة الناس، وبدأ بتشويه معالم الدين وسيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله). ولم يكن السكوت على هذا الواقع أمراً جائزاً؛ لأنّه في مثل هذه المرحلة يعني إعطاء الشرعية للباطل. ومن هنا كانت كلمته الخالدة التي لحّصت مشروعه كلّهُ: «وإني لم أخرج أشراً ولا بطيراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمد (صلى الله عليه وآله)»¹؛ فالإصلاح عند الإمام الحسين (عليه السلام) إنّما كان مواجهةً للفساد السياسي والديني والأخلاقي الذي كان يهدّد أصل الإسلام.

لقد كان الإمام (عليه السلام) يملك تشخيصاً دقيقاً للواقع؛ ولذلك قال في خطبته المشهورة: «ألا ترون أنّ الحقّ لا يُعمل به، وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه؛ ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً، فإني لا أرى الموت إلا سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً»².

إنّ أخطر ما يصيب الأمة هو أنّ يتحوّل الظلم إلى أمرٍ مألوف، وأنّ يسكت

¹ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج44، ص329.

² ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص245.

الناس عنه، وأن يعتادوا رؤية الباطل من دون اعتراض؛ ولهذا كانت النهضة الحسينية ضرورةً لحفظ الدين، وليست مجرد موقفٍ سياسيٍّ عابر، وقد عبّر الإمام الخامنيّ (قُدِّس سرّه) عن هذه الحقيقة بقوله: «كان الإمام الحسين (عليه السلام) يعلم أنّه إذا لم يقيم بهذا التحرك، لكان هذا منه إمضاءً وصمتاً وسكوناً يجرّ على الإسلام ما يجرّ»¹؛ أي إنّ ترك المواجهة أحياناً يتحوّل إلى مشاركةٍ غير مباشرةٍ في تثبيت الباطل؛ لأنّ الطغاة يستفيدون من صمت أهل الحقّ أكثر ممّا يستفيدون من قوّتهم.

الكرامة فوق الحياة

من أهمّ الرسائل التي أراد الإمام الحسين (عليه السلام) ترسيخها أنّ الإنسان لا قيمة له إذا عاش ذليلاً فاقد الكرامة.

لقد حاول جيش يزيد أن يدفع الإمام (عليه السلام) إلى الاستسلام، وأن يقبل بحكم الطاغية حفاظاً على حياته، لكنّه (عليه السلام) كان يرى أنّ الحياة بلا عزةٍ ليست حياة، وحين طلب منه قيس بن الأشعث أن ينزل على حكم يزيد، أجابه الإمام (عليه السلام): «لا والله، لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ إقرار العبيد»². بهذه الكلمة رسم الإمام خطّ الكرامة للأمة إلى يوم القيامة. فالمؤمن قد يُحاصر، وقد يُؤذى، وقد يُقتل، لكنّه لا يبيع دينه وكرامته لينجو

¹ خطاب الولي 2010، ص 61.

² الطبري، تاريخ الطبري، ج 4، ص 323.

بنفسه؛ لذلك رفع الإمام الحسين (عليه السلام) شعاره الخالد: «هيهات مِنَّا الذلَّة»¹.

إنّ هذه الكلمة كانت عقيدةً كاملةً، فالإسلام يريد للإنسان أن يكون عزيزاً حراً، لا تابعاً للظالمين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ»²؛ أي إنّ الإنسان قد يكون حياً بجسده لكنّه ميتٌ في قيمه وكرامته إذا عاش خاضعاً للباطل، بينما قد يموت جسداً لكنّه يبقى حياً في ضمير الأمة إذا مات واقفاً مع الحقّ.

وقد أعادت كربلاء إلى الأمة روح المقاومة بعد أن أصابها الخوف والتراجع؛ ولذلك يقول الإمام الخامنئي (قُدِّسَ سرّه): «بعد ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) قد أُحييت هذه الروحانية»³؛ أي روحية رفض الظلم، وتحمل المسؤولية، والاستعداد للتضحية دفاعاً عن الدين والكرامة.

عاشوراء تصنع الحرّية

إنّ أعظم ما تصنعه عاشوراء في الإنسان أنّها تبني شخصيته الحرّة العزيرة، فالإمام الحسين (عليه السلام) أراد رجالاً أحراراً لا يخضعون للباطل، يقول أمير المؤمنين

¹ الشيخ الطبرسي، الاحتجاج، ج2، ص300.

² السيّد الرضي، فحج البلاغة، ص89، الخطبة 51.

³ الإمام الخامنئي (قُدِّسَ سرّه)، إنسان بعمر 250 سنة، ص175.

(عليه السلام): «أَكْرِمَ نَفْسِكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ، وَإِنْ سَاقَتَكَ إِلَى الرَّغَائِبِ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْدُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضًا، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا»¹.

إنَّ الإنسان قد يخسر مالاً أو منصباً أو راحة، لكنَّ أخطر خسارة أن يخسر كرامته؛ ولهذا فإنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) رفض كلَّ عروض النجاة التي تُبقيه حياً تحت سلطة يزيد.

لقد كان يعلم أنَّ الأمة تحتاج إلى موقفٍ يوقظ ضميرها، ويعيد إليها معنى العزّة، وعاشوراء اليوم تُحمّلنا مسؤوليّة تربويّة كبيرة: علينا أن نربيّ أبناءنا على أنّ الكرامة أعلى من الدنيا، وعلينا أن نعلّم شبابنا أنّ المؤمن لا يخاف من التهديد إذا كان على الحقّ، وعلينا أن نواجه الحرب الإعلاميّة والثقافيّة التي تريد صناعة جيلٍ مستسلمٍ فاقد الهوية.

يقول الإمام الخامنّي (قُدِّس سرّه): «عاشوراء تعلّمنا أنّه تجب التضحية من أجل حفظ الدين... وأنّه في ساحة المبارزة بين الحقّ والباطل، يقف الصغير والكبير، والمرأة والرجل، والإمام والرعيّة في خندقٍ واحد»².

عاشوراء اليوم بين خطّ المقاومة وخطّ الاستسلام

إنَّ عاشوراء هي ميزانٌ نعرف به مواقفنا؛ ففي كلّ زمان يوجد معسكرٌ حقّ

¹ السيّد الرضويّ، فحج البلاغة، ص 401، الرسالة 31.

² من كلامٍ له (قُدِّس سرّه)، بتاريخ 13/07/1992م.

ومعسكرٌ باطل، ويوجد مستكبرون يريدون إخضاع الشعوب، ويوجد أحرار يرفضون الذلّ مهما كانت التضحيات.

واليوم نعيش في عالمٍ مُحاصرٍ فيه الشعوب الحرّة، وتُمارَس فيه الضغوط السياسيّة والاقتصاديّة والإعلاميّة لإخضاع الناس وإرغامهم على التنازل عن قضاياهم وكرامتهم. وفي مقابل ذلك، تعلّمنا عاشوراء أنّ لا نستسلم، وأنّ لا نرضى بالهوان؛ إذ إنّ شعار «هيهات منّا الذلّة» ليس شعاراً تاريخيّاً، بل منهج حياة.

وفي زمن التطبيع والانبطاح، حيث يحاول بعضهم تزيين الخضوع للأعداء وتسويق الاستسلام على أنّه واقعيّة وحكمة، تأتي كربلاء لتقول: إنّ التنازل عن الحقّ لا يصنع أمناً ولا كرامة؛ ولهذا فإنّ استهداف رموز المقاومة والثبات ليس أمراً عشوائيّاً، بل لأنهم يمثّلون الامتداد الطبيعيّ للخطّ الحسينيّ. ومن هنا نفهم الحملات التي تُشنّ على قادتنا وأوليائنا، وعلى رأسهم الوليّ الشهيد الإمام الخامنئيّ (قُدّس سرّه)، إذ إنّّه كان يحمل مشروع مواجهة الاستكبار ورفض الهيمنة، ويتمسك بخيار الدفاع عن قضايا الأمة.

إنّ الموقف الحسيني اليوم لا يقتصر على البكاء وإقامة المجالس، بل يقتضي الثبات على الحقّ، ورفض التبعية، والدفاع عن قضايا الأمة، وعدم الانخداع بالإعلام المضلل.

الموعظة الحادية عشرة جهاد يصنع النصر

هدف الموعظة

بيان أنّ النهضة الحسينيّة كانت نموذجاً كاملاً للجهاد الإلهي القائم على الإخلاص والصبر والطاعة والتوكّل، وأنّ النصر الحقيقيّ في منطلق كربلاء يُقاس بمدى حفظ الدين وإحياء روح المقاومة والعزّة في الأمة.

محاور الموعظة

النهضة الحسينيّة جهاداً لحفظ الدين
شروط النصر في مدرسة كربلاء
الشهادة تصنع النصر
كربلاء اليوم ومسؤوليّة الثبات

تصدير الموعظة

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا
مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾¹.

¹ سورة الأنفال، الآية 65.

النهضة الحسينية جهاداً لحفظ الدين

خرج الإمام الحسين (عليه السلام) مجاهداً في سبيل الله، والجهاد في الإسلام ليس عملاً فوضوياً، بل هو تكليفٌ إلهيٌّ له شروطه وأهدافه، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ الْجِهَادَ وَعَظَّمَهُ، وَجَعَلَهُ نَصْرَهُ وَنَاصِرَهُ. وَاللَّهُ، مَا صَلَحَتْ دُنْيَا وَلَا دِينٌ إِلَّا بِهِ»¹. وإنَّ أخطر ما يصيب الأمة أن تعتاد الظلم، وأن يصبح الباطل أمراً طبيعياً لا يُواجه ولا يُنكر؛ ولهذا كان خروج الإمام الحسين (عليه السلام) ضرورةً شرعيةً لحماية أصل الدين، وقد لخص الإمام (عليه السلام) هذا الوعي حين قال: «أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لَا يُعْمَلُ بِهِ، وَأَنَّ الْبَاطِلَ لَا يُتْنَاهَى عَنْهُ؛ لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ مُحَقَّقًا، فَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً، وَلَا الْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرْمًا»².

من هنا نفهم أنّ كربلاء كانت جهاداً تحت راية الحق، لا تحت راية العصبيّة أو الطموح الشخصي؛ ولذلك كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) يدعو الله قائلاً: «وَأَنْ تَجْعَلَ وَفَاتِي قِتْلًا فِي سَبِيلِكَ مَعَ أَوْلِيَائِكَ تَحْتَ رَايَةِ الْحَقِّ»³، فالحق هو الأساس، والهدف يجب أن يكون إلهياً: الدفاع عن الدين، ونصرة المظلوم، وحماية كرامة الناس.

¹ الشيخ الكليني، الكافي، ج5، ص8.

² الشيخ الحزاني، تحف العقول، ص245.

³ الصحيفة السجادية (أبطحي)، ص262.

شروط النصر في مدرسة كربلاء

إنّ النصر في المنطق القرآنيّ لا يتحقّق بالكثرة وحدها، ولا بالسلاح وحده، بل بتحقّق عناصر الإيمان والثبات؛ ولهذا ركّز القرآن الكريم والروايات الشريفة على مجموعة شروط تصنع القوّة الحقيقيّة.

أولاً: الإخلاص لله تعالى

لم يتحرّك الإمام الحسين (عليه السلام) لمصلحةٍ شخصيّة؛ ولذلك بقيت نهضته حيّة إلى اليوم. فالأعمال التي تُبنى على الرياء تموت سريعاً، أمّا العمل الخالص لله فيبقى ممتدّاً عبر الزمن، عن الإمام الصادق (عليه السلام): «قال الله عزّ وجلّ: أنا خيرُ شريك، من أشرك معي غيري في عملٍ عمِلَهُ لم أقبَله، إلّا ما كان لي خالصاً»¹؛ ولهذا فإنّ المجاهد الحقيقيّ لا يجعل همّه الشهرة ولا المكاسب، بل رضا الله تعالى وأداء التكليف.

ثانياً: الطاعة ووحدة الموقف

من شروط القوّة في أيّ مواجهة أن لا تتحوّل الأمة إلى جماعاتٍ متنازعة، ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾²، فالطاعة ضرورة لحفظ القضية ومنع انهيار الصفّ الداخليّ؛ ولذلك رأينا أصحاب الحسين (عليه السلام) قَمَّةً في الالتزام والثبات، فلم يتخلّوا عنه برغم معرفتهم

¹ الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص295.

² سورة الأنفال، الآية 46.

بالمصير، لأنهم كانوا يدركون أنّ الوقوف مع إمام الحقّ هو عين النجاة.

ثالثاً: الصبر

الصبر في كربلاء لم يكن تحمّل ألمٍ فحسب، بل كان ثباتاً على الموقف برغم الحصار والعطش وفقد الأحبة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾¹، وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان»².

إنّ القرآن حين تحدّث عن غلبة القلّة المؤمنة على الكثرة، ربط ذلك بالصبر: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾، فالإنسان الصابر لا تهزمه الضغوط بسهولة، ولا يبيع موقفه خوفاً أو تعباً.

رابعاً: التوكّل على الله

لقد واجه الإمام الحسين (عليه السلام) جيشاً ضخماً بإمكاناتٍ محدودة، لكنّه كان يملك أعظم عناصر القوّة: الثقة بالله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾³، وعن الإمام الكاظم (عليه السلام): «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى

¹ سورة البقرة، الآية 153.

² الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص87.

³ سورة الأنفال، الآية 10.

الناس، فليتوكّل على الله»¹. والتوكّل لا يعني ترك الأسباب، بل يعني أن يبذل الإنسان جهده وهو واثق بأنّ الله لا يخذل أهل الحقّ.

الشهادة تصنع النصر

في الحسابات الماديّة، قد يُقال إنّ الإمام الحسين (عليه السلام) قُتل وانتهت المعركة، لكنّ الحقيقة أنّ كربلاء هي أعظم انتصارٍ حقّقه الدم على السيف؛ فلقد أراد بنو أميّة إسكات صوت الإمام الحسين (عليه السلام)، فإذا بصوته يتحوّل إلى نداءٍ خالد يهزّ ضمير الأُمّة عبر القرون.

إنّ الشهادة في الإسلام ليست خسارة، بل قَمّة العطاء؛ لأنّ الشهيد يقدّم أعزّ ما يملك في سبيل الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ﴾²، وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «فوق كلّ ذي برٍّ برٌّ، حتّى يُقتل الرجلُ في سبيل الله، فإذا قُتل في سبيل الله، فليس فوقه برٌّ»³. لقد أثبتت كربلاء أنّ الدم قد يهزم السيف حين يكون في سبيل الله، فالإمام الحسين (عليه السلام) لم ينتصر بعدد المقاتلين، بل انتصر لأنّه أعاد للأُمّة وعيها وفضح مشروع الظلم والانحراف؛ ولهذا قال الإمام الخميني (قدّس سرّه): «إنّ

¹ ابن بابويه القميّ، فقه الرضا، ص358.

² سورة التوبة، الآية 111.

³ الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص348.

الاستشهاد في سبيل الله هو الذي يحقق النصر للإسلام ويجدد حياته»¹.
إنّ دماء الشهداء ليست نهاية الطريق، بل بداية الحياة الحقيقية للأمة؛ إذ إنّها
توقظ الضمائر وتُحيي روح العزة والكرامة.

كربلاء اليوم ومسؤولية الثبات

نعيش اليوم زمناً مُحاصراً فيه الشعوب الحرّة، وتُمارَس فيه ضغوط هائلة لإخضاع
الناس فكرياً وسياسياً وثقافياً. وثمة من يريد للأمة أن تفقد ثقافتها بنفسها، وأن
تستسلم للهيمنة والظلم، لكنّ كربلاء تعلّمنا أنّ القلّة المؤمنة الصابرة تستطيع أن
تصنع المعجزات حين تثق بالله وتثبت على الحقّ.

لهذا، فإنّ المسؤولية اليوم لا تقتصر على إحياء الشعائر، بل تشمل تربية الأجيال
على الوعي والعزة والصبر، وأنّ نحفظ هويّتنا أمام حملات التضليل والانحراف،
وقد أكد الإمام الخامنئي (قُدس سرّه) معنى العون الإلهي والثقة بالله، فقال:
«حينما تطلبون العون من الله تعالى، فستفتح الطرق أمامكم»².

إنّ الأمة التي تفقد الأمل تُهزم قبل المعركة، أمّا الأمة التي تتوكّل على الله وتعمل
بوعي وصبر، فإنّها قادرة على تجاوز المحن مهما اشتدّت. وفي كربلاء درسٌ دائم:
النصر ليس دائماً نصراً عسكرياً مباشراً، بل قد يكون حفظاً للدين، وإحياءً
للحقّ، وصناعةً لجيلٍ يرفض الذلّ والانحراف؛ ولهذا بقي الحسين (عليه السلام)
حيّاً في ضمير الأمة، بينما سقط الطغاة في مزبلة التاريخ.

¹ الإمام الخميني (قُدس سرّه)، صحيفة الإمام، ج 17، ص 54.

² من كلام له (قُدس سرّه)، بتاريخ 2014/04/30م.

الموعظة الثانية عشرة تضحية رابحة

هدف الموعظة

نقل المؤمن من الشعور بالخسارة أمام البلاء إلى الشعور بالأدخار عند الله، وربط معاني الصبر والتضحية بثقافة كربلاء والثقة بوعده الله تعالى.

محاوِر الموعظة

التضحية تجارةً مع الله
البيت الزائل والبيت الباقي
كرامة المهاجر في سبيل الله
الشَّهيد حيٌّ عند ربِّه
الخسائر الدنيويَّة مكاسب أخرويَّة
الابتلاء مقدِّمة البشارة

تصدير الموعظة

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾¹.

¹ سورة النحل، الآية 96.

إنَّ من أعظم الأخطاء التي يقع فيها الإنسان في أوقات الشدائد أن ينظر إلى التضحيات التي قدّمها على أنّها خسائر ذهبت هباءً، بينما يعلمنا القرآن الكريم وتعلّمنا سيرة الإمام الحسين (عليه السلام) أنّ كلّ ما يُبدل في سبيل الله هو إِدْخَارٌ أبديٌّ عنده سبحانه. فالمؤمن لا يخسر حين يضحي لله، بل ينتقل بما يملك من متاع الدنيا الفاني إلى رصيدٍ باقٍ في الآخرة. ومن هنا، ينبغي أن تتحوّل نظرتنا من الشعور بأننا «خسرنا»، إلى اليقين بأننا «ادّخرنا عند الله»، وهذا يمكن أن نحققه بالالتفات إلى الحقائق الآتية:

التضحية تجارةً مع الله

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ﴾¹. إنَّ الله سبحانه، وهو الغنيُّ عن العالمين، عبّر عن العلاقة مع المؤمنين بلغة البيع والشراء؛ ليبين قيمة المؤمن عنده، وليؤكّد أنّ ما يقدمه الإنسان في سبيل الله ليس ضياعاً، بل هو تجارةٌ رابحةٌ مع الله تعالى. فالمؤمن حين يبذل نفسه أو ماله أو راحته أو بيته، فإنّما يقدمها لمن لا تضيع عنده الودائع، وقد روي عن الإمام عليّ (عليه السلام): «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الثُّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنِ نِقْمَتِهِ، وَحَيَاشَةَ هُمْ إِلَى جَنَّتِهِ»².

¹ سورة التوبة، الآية 111.

² السيّد رضي، فتح البلاغة، ص 539، الحكمة 368.

البيت الزائل والبيت الباقي

إنَّ المؤمن لا يقيس الأمور بمقياس الدنيا القصير، بل بمقياس الآخرة الباقية؛ فالبيت الذي خسره الإنسان في سبيل الله لا يضيع عند الله، بل يعوّضه الله عنه بما هو أعظم وأبقى، قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾¹، فكلُّ ما في الدنيا إلى زوال، أمّا ما يُدّخر عند الله فهو الباقي الحقيقي؛ ولذلك لا ينبغي للمؤمن أن يأسى على ما فاته من متاع الدنيا، لأنّه يعلم أنّ الله لا يترك تعب عباده وتضحياتهم من دون جزاء.

كرامة المهاجر في سبيل الله

إنَّ النُّزوح والهجرة في سبيل الله ليسا مذلّةً ولا ضياعاً، بل هما من أشرف مقامات الطاعة إذا كانا من أجل حفظ الدين والكرامة والثبات على الموقف الحقّ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبْوَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جُرْأَخِرَةَ أَكْبَرُ﴾². فالنازح في سبيل الله ليس مشرّداً، بل هو مهاجرٌ كريمٌ، ترك بعض راحة الدنيا طلباً لرضوان الله وثباتاً على الحقّ. ومن هنا، ينبغي للمؤمن أن يحفظ كرامته وصره، وأن يستشعر مقامه عند الله تعالى. وإنّ كثيراً من الأنبياء والأولياء عاشوا مرارة الهجرة والغربة، لكنّ الله جعل هجرتهم سبباً لرفعتهم وخلود ذكركم. فالغربة في سبيل الله ليست سقوطاً، بل ارتقاءً في مدارج

¹ سورة النحل، الآية 96.

² سورة النحل، الآية 41.

الكرامة الإلهية، ما دام الإنسان ثابتاً على دينه وموقفه.

الشَّهِيدُ حَيٌّ عِنْدَ رَبِّهِ

إنَّ من أعظم البلاءات فقد الأحبة والشهداء، لكنَّ القرآن الكريم ينهى المؤمنين عن النظر إلى الشهداء بعين الفناء والانقطاع، لأنَّهم أحياء عند ربِّهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾¹، فالشَّهيد لم يذهب إلى العدم، وإنما انتقل إلى حياةٍ أوسع وأكرم. والمؤمن الصابر على فقد شهيدته إنما هو على موعد معه عند الله إذا ثبت على الإيمان والصبر. وقد روي عن الإمام الحسين (عليه السلام) مخاطباً أصحابه يوم عاشوراء: «صبراً بني الكرام، فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة»².

الخصائر الدنيوية مكاسب أخروية

إنَّ كثيراً ممَّا يراه الإنسان خسارةً في الدنيا يتحوَّل، في ميزان الله، إلى أعظم المكاسب؛ فالمال الذي فُقد قد يتحوَّل إلى أجرٍ مدَّخر، والتعب والمرض إلى تكفيرٍ للذنوب، والخوف إلى أمنٍ أبدي يوم القيامة، وقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ما يُصيب المؤمن من وصبٍ ولا نصبٍ ولا همٍّ ولا

¹ سورة آل عمران، الآية 169.

² العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج44، ص297.

حزنٍ إلّا حطَّ الله به من خطاياها»¹. فالمؤمن الواعي لا ينظر إلى ظاهر البلاء فقط، بل ينظر إلى ما وراءه من الرحمة الإلهية والثواب العظيم. وربما فتح الله للإنسان، من خلال البلاء، أبواباً من القرب والمعرفة والإخلاص لم يكن ليصل إليها في أوقات الراحة والرخاء؛ ولذلك كان أهل الإيمان يرون في الشدائد فرصاً للتكامل، لا مجرد أوقاتٍ للألم والمعاناة.

الابتلاء مقدّمة البشارة

إنَّ الله تعالى حين تحدّث عن الابتلاء، لم يذكره على أنّه نهاية الطريق، بل جعله مقدّمةً للبشارة والرحمة، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾². فالابتلاء وعدٌ إلهي، كما أنّ النصر وعدٌ إلهي، والله سبحانه لا يأخذ من المؤمن شيئاً إلّا ليعطيه خيراً منه؛ إمّا في الدنيا، وإمّا في الآخرة، وإمّا فيهما معاً. ولذلك فإنَّ المؤمن حين يقرأ آيات البلاء في القرآن، ينبغي أن يقرأ معها دائماً آيات الوعد والرحمة والنصر؛ لأنَّ سنّة الله جرت بأن يكون بعد العسر يسر، وبعد الصبر فرح، وبعد التضحيات العظيمة فتحٌ وكرامة.

ختاماً،

إنَّ طريقَ التّضحية والصّبر والثبات ليس طريقاً جديداً على أهل الإيمان، بل هو

¹ الشيخ الكليني، الكافي، ج3، ص114.

² سورة البقرة، الآية 155.

طريقُ الأنبياء والأوصياء والأولياء، وفي مقدّمهم سيّد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام)، الذي قدّم أعزّ ما يملك في سبيل الله، فلم ينظر إلى ما خسره بعين الدُّنيا، بل نظر إلى رضا الله وبقاء الحقِّ وكرامة الأُمَّة. لقد خسر الإمام الحسين (عليه السلام) أهله وأصحابه وولده ودياره، لكنّه ربح الخلود والكرامة والنصرَ الأبديّ، حتى بقي ذكره حيّاً في القلوب عبر القرون. وقد رُوي عنه (عليه السلام): «هُوَنَ ما نزل بي أَنَّهُ بعين الله»¹، وهو الذي نزل به ما نزل من البلاء في كربلاء!

فهكذا ينبغي للمؤمن أن ينظر إلى بلائه وتضحياته؛ بعين الثقة بالله، لا بعين اليأس والخسارة. فما دام الإنسان ثابتاً على الحقِّ، صابراً محتسباً، فإنَّ كلَّ ألمٍ يمرُّ به يتحوّل في ميزان الله إلى نورٍ ورفعةٍ وكرامةٍ؛ ولذلك، فإنَّ مدرسة كربلاء لا تعلِّمنا البكاء على المصيبة فقط، بل تعلِّمنا كيف نحمل المصيبة بثباتٍ وعزّةٍ وإيمان، وكيف نحوّل الخسائر الظاهرية إلى انتصارٍ معنويٍّ وروحيٍّ عظيم. فكونوا، أيُّها المؤمنون، من أهل الصبر الحسينيِّ، والثبات الحسينيِّ، والثقة بوعد الله، فإنَّ الله لا يُضيع أجر الصابرين.

¹ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج45، ص46.

الموعظة الثالثة عشرة ألا إن نصر الله قريب

هدف الموعظة

ترسيخ الثقة بالله تعالى في زمن المحن، ومنع اليأس والانكسار النفسي، عبر بيان أنّ تأخّر النصر لا يعني غيابه، وأنّ طريق الصبر والثبات هو الطريق الذي يصنع الفرج والكرامة.

محاوِر الموعظة

الابتلاء بؤابة الفتح
لماذا يؤخّر الله النصر؟
بين كربلاء وواقعنا
الصبر عبادة المنتظرين

تصدير الموعظة

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾¹.

¹ سورة الشرح، الآيتان 5 - 6.

إنَّ الله تعالى لا يترك عباده في ساحات البلاء بلا رحمة، ولا يترك دموع المظلومين بلا وعد، بل جعل للشدائد سنناً، وللصبر ثمراً، وللثبات نوراً يقود إلى الفرج. إنَّ المؤمن حين يعيش الحرب أو التهجير أو الخوف قد يشعر بثقل الأيام وطول الطريق، لكنَّ القرآن الكريم يعلمنا أنَّ الليل مهما اشتدَّ لا بدَّ من أن يعقبه فجر، وأنَّ النصر وعد إلهيَّ ثابت لا يتخلف، وإنَّ جهلنا توقيته.

لقد مرَّ الأنبياء والأولياء بأشدَّ مما نمرَّ به، لكنَّهم ثبتوا؛ لأنَّهم كانوا يرون بعين اليقين أنَّ الله يدبّر الأمر بحكمة ورحمة. والإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء لم يكن ينظر إلى ظاهر المأساة، بل كان يرى ما وراء الدماء من بقاء الدين وكرامة الأمة، ولذلك قال: «هَوْنٌ مَا نَزَلَ بِي أَنَّهُ بَعِينُ اللَّهِ»¹.

الابتلاء بوابة الفتح

إنَّ الله تعالى لم يعد المؤمنين بطريق خالٍ من التعب، بل وعدهم بأنَّ الصبر والثبات هما الطريق إلى الفتح، ففي غزوة الأحزاب بلغ الخوف بالمسلمين مبلغاً عظيماً حتَّى وصف القرآن حالتهم بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ

¹ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 45، ص 46.

الْمُؤْمِنُونَ وَزُلُّوا زُلْزَالًا شَدِيدًا¹، لكنّ النتيجة كانت نصراً عظيماً وانكساراً للأعداء الإسلام.

وهكذا هي سنن الله في كلّ زمان. فحين يشتدّ الحصار، ويكثر التضليل، ويظنّ الناس أنّ الأبواب أُغلقت، يبدأ الفرج الإلهي بالاقتراب؛ لذلك لا ينبغي للمؤمن أن يربط النصر بسهولة الطريق، بل بثبات أهل الحقّ.

لماذا يؤخّر الله النصر؟

قد يسأل بعض المؤمنين في أوقات المحن: لماذا يتأخّر النصر؟ ولماذا يطول طريق البلاء مع أنّ أهل الحقّ مظلومون؟ والجواب أنّ الله تعالى لم يجعل النصر مجرد نتيجة سريعة، بل جعله ثمرةً لمسيرة من الصبر والثبات والتربية الإيمانية؛ لأنّ الله لا يريد للمؤمن أن ينتصر في الميدان فقط، بل يريد أن يبني داخله روح اليقين والصدق والإخلاص؛ ولذلك كانت الشدائد مدرسةً تصنع النفوس الكبيرة، وتميّز المؤمن الثابت من الإنسان الذي يعبد الله على حرف.

قال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾²، فالفتنة والابتلاء سنة إلهية جارية، لا لأنّ الله يريد تعذيب عباده، بل لأنّه يريد أن يطهر النفوس ويكشف معادن الرجال. وكثيراً ما يكون تأخير الفرج جزءاً من هذا الإعداد الإلهي؛ لأنّ النفوس المستعجلة قد لا تحتمل مسؤوليّة النصر لو جاء سريعاً.

¹ سورة الأحزاب، الآيات 9 - 11.

² سورة العنكبوت، الآية 2.

إنَّ الابتلاء ليس دائماً علامة غضب، بل قد يكون علامة عناية واختيار، وقد رُوي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بِلَاءَ النَّبِيِّينَ، ثُمَّ الْأَوْصِيَاءِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوهُمْ»¹، فكلّما عظمت الرسالة، عظم معها الامتحان؛ ولذلك لم يكن طريق الأنبياء مفروشاً بالراحة، بل بالصبر والتضحية والثبات.

بين كربلاء وواقعنا

لقد وقف الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء ومعه القلّة المؤمنة، بينما كانت الجموع الغفيرة في الطرف الآخر، ومع ذلك لم يشعر بالهزيمة؛ لأنّه كان يعلم أنّ الحقّ لا يقاس بالعدد. واليوم قد يشعر الناس بالوحدة أو الخوف أو ضيق الحال، لكنّ المؤمن الحقيقيّ يستلهم من الإمام الحسين (عليه السلام) معنى الثبات وعدم الانكسار النفسيّ.

إنّ كربلاء تعلّمنا أنّ الإنسان قد ينتصر معنوياً حتّى وهو في أشدّ لحظات الألم، وأنّ الدم المظلوم قد يهزم السيف الظالم عبر الزمن؛ ولذلك فإنّ أعظم خطر يريده الأعداء هو أن نفقد الثقة بالله، لا أن نخسر بعض متاع الدنيا.

الصبر عبادة المنتظرين

إنّ القرآن الكريم يربّي المؤمن على الثقة لا على الاستعجال، فحين قال المؤمنون: ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ جاءهم الجواب الإلهي: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾²؛ ولذلك

¹ ابن إدريس الحلّي، السرائر، ج3، ص143.

² سورة البقرة، الآية 214.

لا ينبغي أن يتحوّل الانتظار إلى يأس، بل إلى عبادة وصبر وثبات. وقد كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) بعد كربلاء يحمل الأمل برغم المصيبة العظيمة؛ لأنه كان يرى أنّ الدم الحسيني سيقى نوراً يهدي الأجيال.

إنّ استعجال النصر أو الفرج قبل أوانه مقترنٌ في المنظور الإيمانيّ بنقص اليقين بحكمة الله وتدبيره؛ فالعبد يستعجل بدافع ضعفه البشريّ وقلة صبره، بينما يدبّر الله الأمور بحكمته البالغة وفق الآجال المقدّرة لها. وقد ذمّ القرآن الكريم هذه الخصلة عندما تتحوّل إلى اعتراضٍ على السنن الإلهيّة أو يأسٍ من رعاية الله، قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾¹، كما تبه سبحانه وتعالى إلى أنّ تأخير الاستجابة أو النصر يحمل في طيّاته الصلاح والمصلحة التي يجهلها العباد، فقال: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾².

ختاماً،

إنّ طريق الصبر طويل أحياناً، لكنّ نهايته كريمة. لا تسمحوا للحرب النفسيّة أن تسرق منكم اليقين، ولا تجعلوا الأمل يطفئ نور الإيمان في قلوبكم. إنّ الله الذي حفظ إبراهيم (عليه السلام) في النار، ونجّى موسى (عليه السلام) من فرعون، ونصر محمّداً (صلّى الله عليه وآله) في أصعب الظروف، قادر على أن يجعل بعد عسرنا يسراً وبعد خوفنا أمناً.

¹ سورة الأنبياء، الآية 37.

² سورة النحل، الآية 1.

الموعظة الرابعة عشرة معركة القلب

هدف الموعظة

تعزيز الوعي بخطورة الحرب النفسية، وبيان الوسائل الإيمانية والروحية التي تحفظ قلب المؤمن من الخوف واليأس والانهيار، عبر التوكّل على الله وملازمة القرآن والدعاء والصبر.

محاوِر الموعظة

تحصين القلوب في الحرب النفسية
التوكّل على الله
القرآن والسنن الإلهية
الدعاء وعلاج التوتّر
الصبر

تصدير الموعظة

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾¹.

¹ سورة آل عمران، الآية 173.

تحصين القلوب في الحرب النفسية

إنّ من أشدّ التحدّيات التي تواجه الإنسان هي ضغوطات الحياة بجميع أشكالها، ومنها حالة الحرب التي قد يستخدم فيها العدو كلّ وسائل الضغط المعنويّ والنفسيّ، والتي تشكّل ما يعرف بالحرب النفسية، فعلاوة على عدوانه العسكريّ، فإنّه يستخدم عدواناً أمنياً ونفسياً فينشر ويبثّ بكلّ ما أوتي من قوّة ما يمكن أن يقوّض إرادة الانسان، ويضعه في حالة من الإحباط واليأس، ما يجعله ضعيفاً أمامه، وهذا كلّ حتى لو كان واقع الحال مناقضاً لما يبتهّ العدو وينشره. ولأجل ذلك، فإنّ على المؤمن أن يكون حذراً من جهة، ومتسلّحاً من جهة أخرى لمواجهة ذلك بكلّ قوّة؛ أمّا أن يكون حذراً فهو أن يدرك فعلاً أنّ العدو وأعوانه يعدّون الحرب النفسية جزءاً أساسياً من الحرب، وأمّا أن يكون متسلّحاً، فهو ما ينبغي عليه أن يتسلّح به ذاتياً.

ولذلك، كان من السنن الواضحة في مدرسة القرآن والرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام) أنّ معركة الإنسان الحقيقية تبدأ من قلبه، الذي أولى الله به اهتماماً كبيراً وعدّه أساس ثبات الإنسان أو انكساره. في طريق الثبات ثمة مجموعة من التوجيهات، نذكر منها:

التوكّل على الله

تظهر أهمية حركة القلب عند الشدّة، فيلجأ المؤمن حينها لمواجهة تلك الشدائد بما يعدّه سلاحاً أمضى، ألا وهو التوكّل على الله سبحانه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ

قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١﴾.

وإنّ قول الإنسان: «حسبي الله ونعم الوكيل» فإنّه إعلان وإقرار بأنّ قدرة الله أكبر من كلّ الأسباب، وأنّ تدبيره سبحانه أعلى من كلّ التدابير البشريّة؛ ولأجل ذلك لا ينقطع أمله بتسديد الله سبحانه، القادر على كلّ شيء، وتكون عنده بذلك كلّ مظاهر القوّة الماديّة وغيرها، التي يظهرها الأعداء، عن الإمام الصادق (عليه السلام): «عَجِبْتُ لِمَنْ خَافَ كَيْفَ لَا يَفْرَعُ إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ بِعَقِبِهَا: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ﴾»¹².

وقد سئل أبو الحسن الأوّل (عليه السلام) عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾³، فقال (عليه السلام): «التَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ دَرَجَاتٌ؛ مِنْهَا أَنْ تَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا، فَمَا فَعَلَ بِكَ كُنْتَ عَنْهُ رَاضِيًا تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَأْلُوكَ خَيْرًا وَفَضْلًا، وَتَعْلَمُ أَنَّ الْحُكْمَ فِي ذَلِكَ لَهُ، فَتَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ بِتَفْوِيزِ ذَلِكَ إِلَيْهِ، وَتُثِقَ بِهِ فِيهَا وَفِي غَيْرِهَا»⁴، وعن أمير المؤمنين (عليه

¹ سورة آل عمران، الآية 174.

² الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج4، ص392.

³ سورة الطلاق، الآية 3.

⁴ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج68، ص129.

(السلام): «كيف أخاف وأنت أملّي، وكيف أضام وأنت متّكلي»¹.

ملازمة القرآن

ليس الخوف والوحشة والقلق حكماً مبرماً على الإنسان، فإذا ما شعر بشيء من هذا فإنّ بين يديه ما يسعفه في التخلّص منه، وذلك عبر طريقتين: طريق المعرفة، والتي تتجلى في آيات القرآن الكريم الذي يرشد الإنسان ويوجهه، ويشفي ما في خلده من عثرات وتساؤلات فكرية وغيرها، كما في قوله تعالى: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾²، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): «واعلموا أنّ هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب»³.

السنن الإلهية في القرآن

من تجليات هداية القرآن الكريم للإنسان، أنّه يعرفه حقيقة هذا النظام الكوني، والسنن التي تحكمه، وبهذا يجعله أكثر دراية في حقائق الأمور، فتنجلي عن بصيرته غشاوة الجهل، فيصبح بذلك عارفاً بالطريق، فلا ييأس ولا يجبط، ويزرع في قلبه الأمل، ومن آيات السنن الإلهية:

¹ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج94، ص229.

² سورة الإسراء، الآية 82.

³ السيّد الرضي، نصح البلاغة، ص252، الخطبة 176.

- قوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾¹.

- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾².

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَلِّحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾³.

وغير ذلك من الآيات المباركة التي يدرك الإنسان معها أنّ مظاهر الأحداث تسبطن أموراً تدفعه للثبات وعدم الانزلاق.

الدعاء

أما الطريق الثاني فيتمثل في الدعاء واللجوء الى الله سبحانه، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾⁴، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾⁵.

رُوي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: «مَنْ لَزِمَ الاستِغْفَارَ، جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرْجاً، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»⁶، وكذلك دعاء الإمام الصادق (عليه السلام) الذي علّمه بعض أصحابه لدفع الهول والغم: «أَعَدَدْتُ لِكُلِّ عَظِيمَةٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلِكُلِّ هَمٍّ وَغَمٍّ لَا حَوْلَ

¹ سورة محمد، الآية 7.

² سورة فاطر، الآية 43.

³ سورة يونس، الآية 81.

⁴ سورة النمل، الآية 62.

⁵ سورة غافر، الآية 60.

⁶ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج90، ص284.

وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. مُحَمَّدٌ النُّورُ الْأَوَّلُ، وَعَلِيُّ النُّورِ الثَّانِي، وَالْأَيْمَةُ الْإِبْرَارُ عُدَّةٌ لِلِقَاءِ اللَّهِ، وَحِجَابٌ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ. ذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لِعِظَمَةِ اللَّهِ، وَأَسْأَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكِفَايَةَ»¹.

علاج التوتر

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لو قال أحدكم إذا غضب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ذهب عنه غضبه»²، وأيضاً عنه (صلى الله عليه وآله) أنّ الوضوء يعالج الغضب أيضاً، عندما قال له رجل: يا رسول الله، أوصني، فقال (صلى الله عليه وآله): «أوصيك ألا تغضب»³، وقال (صلى الله عليه وآله): «إذا غضب أحدكم، فليتوضأ»⁴.

الصبر

من وسائل سكون النفس وحفظها، وحماتها من الانزلاق والتأثر بما لا ينبغي هو الصبر، قال سبحانه: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾⁵، فالصبر بنفسه يُعَدُّ من مقومات ثبات النفس والقلب؛ ولأجل

¹ الشيخ القمي، مفاتيح الجنان، ص1071.

² الراوندي، الدعوات (سلوة الحزين)، ص52.

³ المصدر نفسه.

⁴ المصدر نفسه.

⁵ سورة البقرة، الآية 45.

ذلك فقد قرنه الله تعالى بالنصر والفلاح في الدنيا والآخرة.
 إلا أنّ مفهوم النصر قد تعرّض لسوء فهم؛ إذ يتصوّر بعض الناس أنّ الصبر يعني تعطيل الحركة والاستسلام للواقع، إلاّ أنّه في الحقيقة ليس كذلك، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾¹، فنلاحظ أنّ المصابرة، وهي من المفاعلة، إنّما هي أمر مترتب على الصبر نفسه، وكذلك المرابطة التي تُعدّ جهاداً ذا كلفة ومشقّة.

فالتحصين الروحيّ الحقيقيّ لا يعني أنّ الإنسان لن يجزن أو يتألّم أو يخاف، وإنّما يعني أنّ قلبه لا ينهار تحت وطأة الحزن، وأنّ روحه لا تنكسر أمام الخوف، وأن يقينه لا تهزه رياح الفتن.

¹ سورة آل عمران، الآية 208.

الموعظة الخامسة عشرة العدل المنتظر

هدف الموعظة

ترسيخ حقيقة أنّ العدل من أعظم أهداف الرسالات الإلهية، وأنّ نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) تمثل امتداداً لهذا المسار، وصولاً إلى دولة الإمام المهديّ (عجل الله تعالى فرجه) القائمة على العدل الكامل.

محاوِر الموعظة

العدل هدف الرسالات الإلهية
النهضة الحسينية ثورة استعادة العدل
دولة المهديّ دولة العدل الكامل
كيف نكون من أنصار العدل؟

تصدير الموعظة

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾¹.

¹ سورة الحديد، الآية 25.

العدل هدف الرسالات الإلهية

إنّ من يقرأ القرآن الكريم يدرك أنّ الله تعالى لم يبعث الأنبياء لمجرد إقامة الطقوس والشعائر، وإنما أرسلهم لبناء الإنسان العادل والمجتمع العادل؛ ولذلك جعل القرآن الكريم «القسط» من الأهداف المركزيّة لكلّ الرسالات، قال تعالى: ﴿لِيُقِيمُوا لِلنَّاسِ بِالقِسْطِ﴾. فالإسلام لا يريد للإنسان أن يكون متديّناً في عبادته فقط، بينما يعيش الظلم في حياته الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة؛ فالعبادة الحقيقيّة لا تنفصل عن العدل. وقد كان الأنبياء (عليهم السلام) يواجهون الطغاة والمنحرفين؛ لأنهم صادروا حقوق الناس، وأفسدوا الحياة، وحولوا المجتمعات إلى ساحات ظلم واستعباد.

وحين نتأمّل في سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) نجد أنّه جعل العدالة أساس الحكم، حتّى قال: «العدلُ أساسُ به قِوامُ العالم»¹. ولم يكن العدل عنده شعاراً يُرفع، بل ممارسةً حقيقيّةً؛ ولذلك رفض أن يميّز أحداً في العطاء أو الحقوق، حتّى لو كان من أقرب الناس إليه.

إنّ الإنسان قد يتحمّل الفقر أحياناً، لكنّه لا يتحمّل الظلم؛ لأنّ الظلم يهدم كرامة الإنسان، ويزرع الأحقاد، ويفسد الأمن، ويدمر المجتمعات من الداخل. ومن هنا كان الظلم من أخطر الذنوب، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً

¹ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 75، ص 83.

عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ¹.

ولذلك، فإنَّ المؤمن الحقيقي لا يكون ظالماً، ولا ساكناً عن الظلم، ولا متعاشياً معه؛ لأنَّ روح الإيمان تدفع الإنسان دائماً إلى نصرة الحقِّ والدفاع عن المظلوم.

النهضة الحسينية ثورة استعادة العدل

حين خرج الإمام الحسين (عليه السلام)، خرج ليواجه الانحراف الذي حوّل الحكم الإسلامي إلى ملكٍ ظالم، تُصادر فيه الحقوق، وتُشتري فيه الذمم، ويُرهب فيه الأحرار، قائلاً: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (صلى الله عليه وآله)².

فمشروع الإمام الحسين (عليه السلام) كان مشروع عدالة وإصلاح. لقد أراد أن يعيد للأمة وعيها، وأن يوقظ ضميرها، رافضاً تحويل الدين إلى أداة بيد الطغاة.

وقد كانت كربلاء مواجهةً بين خطّين: خطّ العدل والكرامة والحقّ، وخطّ الظلم والاستبداد والخضوع للشهوات والمصالح.

إنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) علّمنا أنّ السكوت على الظلم يقتل روح الإنسان، وأنَّ خسارة الدنيا أهون من خسارة الحقِّ والكرامة؛ ولذلك قدّم أهله وأصحابه ودمه الطاهر من أجل أن يبقى خطّ العدالة حيّاً في الأمة؛ ومن هنا

¹ سورة إبراهيم، الآية 42.

² العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج44، ص329.

نفهم العلاقة العميقة بين عاشوراء وبين مشروع الإمام المهديّ (عجل الله تعالى فرجه)، فكلاهما يمثل امتداداً لخطّ مقاومة الظلم وإقامة القسط بين الناس.

دولة المهديّ دولة العدل الكامل

إنّ العالم اليوم، وبرغم كلّ ما وصل إليه من تطوّر مادّيّ، لا يزال يعيش ظلماً هائلاً؛ ظلّم الحروب، وظلم الاستكبار، وظلم الفقر، وظلم التمييز، وظلم احتكار الثروات، حتّى أصبحت شعوبٌ بأكملها تعاني الجوع والخوف والحرمان، بينما تتكدّس الثروات عند قلة من الناس؛ ولهذا فإنّ البشريّة اليوم أحوج ما تكون إلى العدل الحقيقيّ، لا إلى الشعارات الكاذبة. وهنا يأتي مشروع الإمام المهديّ (عجل الله تعالى فرجه) بوصفه مشروع الإنقاذ العالميّ القائم على القسط والرحمة. روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إِذَا قَامَ الْقَائِمُ (عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ) حَكَمَ بِالْعَدْلِ، وَارْتَفَعَ فِي أَيَّامِهِ الْجُورُ، وَأَمِنَتْ بِهِ السُّبُلُ، وَأَخْرَجَتْ الْأَرْضُ بَرَكَاتِهَا، وَرَدَّ كُلَّ حَقٍّ إِلَى أَهْلِهِ»¹، فدولة الإمام المهديّ (عجل الله تعالى فرجه) ليست دولة انتقام، بل دولة إعادة الحقوق إلى أصحابها، ودولة الأمن والطمأنينة والكرامة الإنسانيّة.

ومن أعظم مظاهر عدالته العدل الاقتصاديّ؛ إذ لا يبقى إنسان محرومٌ أو مسحوقٌ أو جائع، وقد ورد عن النبيّ (صلى الله عليه وآله): «يَمْلَأُ الْأَرْضَ

¹ النيسابوريّ، روضة الواعظين وبصيرة المتعظين، ج2، ص265.

قِسْطاً وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا»¹، بل تصف الروايات حالة الغنى والعدالة حتى إنّ الإنسان يُعرض عليه المال فلا يجد حاجةً إليه، لأنّ الطمع والفقر والحرمان تكون قد عولجت بروح العدالة الحقيقيّة، وعن الإمام الباقر (عليه السلام): «إِذَا قَامَ قَائِمُنَا، فَإِنَّهُ يَتَّقِسُ بِالسَّوِيَّةِ، وَيَعْدِلُ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ»². إنّ هذه الدولة هي وعدٌ إلهيٌّ، والله سبحانه لا يخلف وعده، لكنّ انتظار الإمام المهديّ (عجل الله تعالى فرجه) لا يعني الانتظار السلبيّ، بل يعني أن يتحوّل المؤمن إلى إنسانٍ عادلٍ في نفسه وبيته ومجتمعه، وأن يكون رافضاً للظلم، ناصرًا للحقّ، ممهداً لدولة العدل الإلهيّ.

كيف نكون من أنصار العدل؟

إنّ الحديث عن العدل لا قيمة له إذا بقي مجرد شعارات؛ فالمؤمن المهديّ الحقيقيّ هو الذي يبدأ بإقامة العدل من نفسه؛ فلا يظلم أهله، ولا يخون الناس، ولا يأكل حقوق الآخرين، ولا يكذب، ولا يغشّ، ولا يتعامل بازدواجيّة. فالإنسان الذي ينتظر دولة العدل، لكنّه يمارس الظلم في بيته أو عمله أو تجارته، لم يفهم حقيقة الانتظار.

إنّ التمهيد للإمام المهديّ (عجل الله تعالى فرجه) يبدأ من بناء الإنسان الصادق والعاقل والرحيم. وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): «مَنْ سَرَّهُ أَنْ

¹ السيّد ابن طاووس، التشريف بالمتن في التعريف بالفتن (الملاحم والفتن)، ص 323.

² الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج 1، ص 161.

يكون من أصحاب القائم فلينتظر، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق»¹، فالعدل مشروع إنسانٍ قبل أن يكون مشروع دولة. كما أنّ من أهمّ مصاديق التمهيد للعدل: نصرّة المظلومين، مواجهة الفساد، رفض اليأس والاستسلام، تربية الأجيال على القيم الإلهية، بناء الوعي في مواجهة التضليل والانحراف. وهذا كلّهُ امتدادٌ لخطّ الإمام الحسين (عليه السلام)، الذي رفض أن يتعايش مع الظلم، وعلم الأجيال كيف تكون الكرامة أعلى من الحياة نفسها.

إنّ عاشوراء ليست ذكرى للحزن والبكاء فحسب، بل مدرسةٌ لصناعة الإنسان الذي يرفض الظلم وينتظر العدل الإلهي. فالإمام الحسين (عليه السلام) بدمه مهّد لطريق الإمام المهديّ (عجل الله تعالى فرجه)، وكريلاء بقيت تصنع الأحرار جيلاً بعد جيل.

¹ النعماني، الغيبة، ص 207.

الموعظة السادسة عشرة سقوط المجتمع حين يُبتلى بالوهن

هدف الموعظة

إظهار أنّ سقوط المجتمعات يبدأ من الداخل لا من الخارج، حين يغلب حبّ الدنيا والخوف، وأنّ تجربة الكوفة مع الإمام الحسين (عليه السلام) تجسّد أسباب الانهيار، وأساس النجاة هو الثبات على الحقّ وإن عزّ الناصر.

محاوِر الموعظة

الكوفة بين البيعة والانهيار
حبّ الدنيا أصل الوهن
الركون إلى الظالم صناعة السقوط
كربلاء تصنع الوعي وتفضح السقوط

تصدير الموعظة

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ
تُمْ لَا تُنصَرُونَ﴾¹.

¹ سورة هود، الآية 113.

الكوفة بين البيعة والانبيار

لقد شكّلت الكوفة في مرحلة من التاريخ الإسلامي نموذجاً لمجتمعٍ يحمل استعداداً لنصرة الحقّ، فقد توالى الرسائل إلى الإمام الحسين (عليه السلام) تدعوه إلى القدوم، وتعلن الولاء والاستعداد للقتال بين يديه. وقد بلغ عدد المبايعين - بحسب ما نُقل - أعداداً كبيرة أوجبت أن يُرسل الإمام مسلم بن عقيل (عليه السلام) ليتبّث من صدق الموقف: «وقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم»¹.

لكنّ هذا المشهد لم يستمرّ طويلاً، إذ سرعان ما انقلبت المعادلة مع دخول عبيد الله بن زياد إلى الكوفة، حيث تحوّل مجتمع البيعة إلى مجتمع الخوف والتردد، وبدأت الانهيارات المتسارعة، حتّى انتهى الأمر إلى خذلان مسلم بن عقيل، ثمّ الإمام الحسين (عليه السلام).

وهنا تكمن الحقيقة الأولى: إنّ الخطر الأكبر على المجتمعات ليس ضعف العدد، بل ضعف الإرادة من الداخل؛ فقد كان المجتمع الكوفيّ كثير العدد، لكنّه فقد تماسكه الداخليّ أمام ضغط السلطة والترهيب والترغيب.

حبّ الدنيا أصل الوهن

يحدّد الإمام الحسين (عليه السلام) الجذر العميق لهذا الانهيار بقوله: «إنّ الناس

¹ الطبريّ، تاريخ الطبريّ (تاريخ الأمم والملوك)، ج 4، ص 262.

عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درت معائشهم، فإذا
مُحِّصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدَيَّانُونَ»¹.

هذه الحقيقة تكشف أنّ المشكلة ليست في المعرفة، بل في التعلّق؛ فقد كان كثير
من أهل الكوفة يعرفون الحقّ، بل كتبوا إلى الإمام (عليه السلام)، لكنّهم حين
وُضِعُوا أمام الاختبار العمليّ، قدّموا مصالحهم ومخاوفهم على الحقّ.

ومن الأمثلة الواضحة، موقف عبید الله بن الحرّ الجعفيّ الذي أدرك الحقّ واعترف
به، لكنّه اعتذر بحبّ البقاء وخوف الموت، فاختار الدنيا على نصره الإمام (عليه
السلام)، قائلاً له: «والله، إني لأعلم أنّ من شايحك كان السعيد في الآخرة،
ولكن ما عسى أن أغني عنك، ولم أخلف لك بالكوفة ناصراً، فأنشدك الله أن
تحمّلي على هذه الخطّة، فإنّ نفسي لم تسمح بعد بالموت»².

وهنا تظهر سنّة قرآنيّة واضحة، إذ يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ
وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا
وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى
يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾³.

يقول رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بعد كلام له عن تداعي الأمم على الأمة

¹ ابن شعبة الحرّانيّ، تحف العقول عن آل الرسول (صلّى الله عليه وآله)، ص 245.

² الدينوريّ، ابن قتيبة، الأخبار الطوال، ص 251.

³ سورة التوبة، الآية 24.

الإسلامية: «... وليقدفنّ في قلوبكم الوهن!»، قال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال (صلى الله عليه وآله): «حبّ الدنيا وكرهية الموت»¹. فالابتلاء الحقيقي هو لحظة المفاضلة بين الحقّ والمصلحة، وبين الإيمان والدنيا. ومن لا ينجح في هذا الامتحان، يسقط، وإن كان يملك المعرفة والشعارات.

الركون إلى الظالم صناعة السقوط

من الأسباب الثانية لانهيار المجتمع الكوفيّ هو الركون إلى الظالم، وهو ما حدّر منه القرآن الكريم بشكل واضح: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾. لقد استخدم عبید الله بن زياد أسلوبين في إسقاط المجتمع: التهيب بالقتل والسجن والتهديد، والترغيب بالمال والمناصب والامتيازات؛ فانهارت إرادة كثير من الناس، لا لأنهم لا يعرفون الحقّ، بل لأنهم خافوا أو طمعوا. ومع مرور الوقت، تحوّل الخوف إلى ثقافة عامة، فصار الناس يراقب بعضهم بعضاً، ويفقدون الثقة فيما بينهم، وقد عبّر هذا المعنى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في وصف الفتن حين قال: «بين يدي الساعة فتنٌ كقطع الليل المظلم، يمسي الرجل فيها مؤمناً ويصبح كافراً، ويصبح مؤمناً ويمسي كافراً، يبيع أحدهم دينه بعرضٍ من الدنيا قليل»².

إنّ أخطر ما في الركون إلى الظالم أنّه لا يبقى للإنسان استقلالاً في قراره، بل يحوّل إلى أداة تتحرّك وفق إرادة السلطة، ولو على حساب دينه وضميره.

¹ السيّد ابن طاووس، الملاحم والفتن، ص 307.

² المروزي، الفتن، ص 15.

كربلاء تصنع الوعي وتفضح السقوط

إنّ سقوط الكوفة لم يكن مجرد حدث تاريخي، بل كان كشفاً لنوعين من البشر: إنسان يبيع موقفه خوفاً أو طمعاً، وإنسان يثبت ولو كان وحيداً. في كربلاء، ظهر هذا التمايز بأوضح صورته؛ فالإمام الحسين (عليه السلام) لم يُهزم عسكرياً، بل انتصر قيمياً؛ لأنه رفض أن يساوم على الحق، وقد قال (عليه السلام): «ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين: بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة»¹.

هذا الموقف يكشف أنّ القيمة العليا ليست في البقاء المادّي، بل في حفظ الكرامة والموقف. ومن هنا، فإنّ كربلاء ليست مجرد حدثٍ تاريخي، بل معيار دائم لقياس المجتمعات: هل تختار الحقّ ولو قلّ أنصاره؟ أم تختار السلامة ولو كان فيها خذلان للحقّ؟

إنّ تجربة الكوفة مع الإمام الحسين (عليه السلام) تقدّم لنا درساً واضحاً: إنّ المجتمعات لا تسقط حين يشتدّ العدو، بل تسقط حين يضعف الداخل، حين ينتشر حبّ الدنيا، وحين يركن الناس إلى الظالم، وحين يفقد المجتمع شجاعته الأخلاقية.

ولذلك، فإنّ عاشوراء ليست بكاءً على الماضي فقط، بل دعوة دائمة لإحياء الوعي، وإعادة بناء الإنسان من الداخل، ليكون قادراً على الثبات حين يأتي الامتحان.

¹ عليّ بن الحسين المسعودي، إثبات الوصية للإمام عليّ بن أبي طالب، ص 166.

الموعظة السابعة عشرة عطاء الشهادة

هدف الموعظة

بيان أنّ الشهادة في سبيل الله تتمثل ذروة الكرامة الإنسانيّة، وأنها ليست خسارة بل عطاءً إلهيًّا يتجلّى في الدنيا والآخرة، وأنها تكشف معنى الثبات على الحقّ في مواجهة الباطل مهما اشتدّ البلاء.

محاوِر الموعظة

الشهادة بداية كرامة

الموت حتميٌّ ولكن كيف يكون؟

الشوق إلى الشهادة وبناء الوعي الإيمانيّ

الشهادة في ميزان الخلود الإلهيِّ

تصدير الموعظة

﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَاهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِهِمْ *
وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا هُمْ﴾¹.

¹ سورة محمد، الآيات 4 - 6.

الشهادة بداية كرامة

تُقدّم الآية المباركة رؤيةً مختلفةً تماماً عن النظرة المادّية للموت، فهي لا تتحدّث عن نهاية الإنسان، بل عن انتقاله إلى مستوى آخر من الحياة والكرامة الإلهية، فالله تعالى يذكر ثلاث عطايا للشهداء:

الأولى: أنّ أعمالهم لا تضيع، بل تُحفظ وتثمر؛ في الدنيا نصراً وعزّة، وفي الآخرة مقاماً ورضواناً.

وهذا المعنى يؤسّس لفهم أنّ طريق الحقّ لا يُقاس بنتائج لحظية وآنيّة، بل بامتداده الإلهي في التاريخ والآخرة.

الثانية: أنّ الله «يُصلح بالهم»؛ أي يرفع عنهم آثار الخوف والاضطراب، ويمنحهم سكينَةً روحية لا تُقاس بمقاييس الدنيا. وهذا يوضّح أنّ الشهادة ليست فقداً للحياة، بل انتقالاً إلى حالة من الاستقرار الكامل عند الله.

الثالثة: أنّ الله يُدخلهم الجنة التي عرّفهم بها؛ أي إنّهم لا يدخلون مجهولاً، بل إلى مقامٍ معدّ لهم مسبقاً، فيه تمام المعرفة والطمأنينة.

وهذا ما يفسّر الشوق إلى الشهادة عند أولياء الله، كما في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام): «مَنْ الرّائِحُ إِلَى اللَّهِ كَالظَّمَانِ يَرِدُ الْمَاءَ، الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي، الْيَوْمَ تُبْلَى الْأَخْبَارُ، وَاللَّهُ لَأَنَا أَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ»¹.

الموت حتمي ولكن كيف يكون؟

¹ السيّد الرضوي، فحج البلاغة، ص 181، الخطبة 124.

يقدم أمير المؤمنين (عليه السلام) قاعدةً وجوديةً حاسمة حين يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْمَوْتَ لَا يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ، وَلَا يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ، لَيْسَ عَنِ الْمَوْتِ مَحِيصٌ، وَمَنْ لَمْ يَمُتْ يُقْتَلْ، وَإِنَّ أَفْضَلَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ»¹.

هذه الحقيقة تُخرج الإنسان من وهم السيطرة على المصير، وتضعه أمام خيار واحد: كيف يواجه الموت؟ فإما أن يكون موتاً عادياً بلا معنى، أو يكون موتاً في سبيل الله يتحوّل إلى شهادة؛ ومن هنا قال الإمام الصادق (عليه السلام): «أشرف الموت قتل الشهادة»²، فالمسألة ليست في «متى نموت؟»، بل في «في أيّ طريق نموت؟». وهذا التحوّل في الفهم هو ما يجعل الشهادة «تجارة الأذكياء»؛ لأنّ العاقل هو الذي يحوّل الحتمية إلى ربحٍ معنويٍّ وأخرويٍّ.

الشوق إلى الشهادة وبناء الوعي الإيمانيّ

الشهادة في المنظور الإيمانيّ ليست قراراً انفعاليّاً، بل نتيجة وعيٍ عميقٍ بحقيقة الدنيا والآخرة. لذلك يصف أمير المؤمنين (عليه السلام) المجاهدين بأنهم: «كَالظَّمَانِ يَرِدُ الْمَاءَ». وهذا التشبيه يكشف أنّ العلاقة بالشهادة ليست علاقة خوف، بل علاقة انجذاب إلى الكمال.

لكن هذا الشوق لا يُفهم إلا ضمن شرط أساسيٍّ: اليقين بالله؛ إذ إنّ ضعف اليقين يجعل الإنسان أسير الحياة الدنيا، كما يشرح الإمام الحسين (عليه السلام)

¹ الشيخ الكليني، الكافي، ج5، ص54.

² الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج4، ص402.

حين قال: «إنّ الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معائشهم، فإذا مُحِّصوا بالبلاء قلّ الديّانون»¹؛ أي إنّ الامتحان الحقيقيّ يكشف عمق الإيمان، لا مجرد ادّعائه.

الشهادة في ميزان الخلود الإلهيّ

عندما يتحدّث القرآن عن الشهداء، فهو لا يتحدّث عن ذكرٍ تاريخيّ، بل عن حضورٍ حيّ: ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾²؛ وهذا يعني أنّ الشهداء لم يغيّبوا، بل انتقلوا إلى نمط حياة أعلى من إدراكنا.

ومن هنا، تصبح كربلاء المثال الأوضح لهذا المعنى؛ إذ تحوّلت شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) إلى مدرسة حيّة ممتدّة في الزمن، لا تنطفئ آثارها، بل تتجدّد كلّ عام.

وقد لخصّ الإمام الحمينيّ (قدّس سرّه) هذا المعنى حين أشار إلى عجز اللغة عن وصف مقام الشهداء، لأنّهم في مستوى يتجاوز التعبير البشريّ، فهم في مقام «التحاقٍ بالله» لا يُقاس بمفاهيم الدنيا: «وهلّ يمكنُ بالقلم والبيان والكلام التعبيرُ عن الالتحاقِ بالله واستضافةِ مقامِ الربوبيةِ للشهداء؟ أليسَ هذا مقامَ: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾³، الذي رأى الحديثُ الشريفُ

¹ ابن شعبة الحرّانيّ، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليه وآله)، ص 245.

² سورة آل عمران، الآية 169.

³ سورة الفجر، الآيتان 29 - 30.

مصدقَه في سيّد الشهداءِ والمظلومين؟ وهل هذه الجتّه هي التي يدخلها المؤمنون أم لطيفتها الإلهية؟ هل الالتحاق والارتزاق عند ربّ الأرباب هو هذا المعنى البشري، أم أنّه رمزٌ إلهيٌّ أسمى وفوق تصوّر البشر الترابي؟¹

إنّ الشهادة هي انتقال من حياة محدودة إلى حياة بلا حدود، ومن معنى الفناء إلى معنى البقاء؛ ولذلك فإنّ مدرسة عاشوراء لا تقدّم الحزن بوصفه نهاية، بل تقدّمه بوصفه وعياً بالثبات، ورفضاً للانكسار، وإعادة تعريفٍ للحياة والموت معاً.

¹ الإمام الخميني (قُدس سرّه)، صحيفة الإمام، ج 17، ص 116.

الموعظة الثامنة عشرة سنة الاستبدال

هدف الموعظة

بيان أنّ حمل دين الله تعالى ونصرة الحقّ مسؤوليّة لا تتوقّف على قومٍ دون قوم، وأنّ الأُمَّة إذا تخلّت عن واجبها استبدلها الله بغيرها، مع ربط هذه السنّة الإلهيّة بثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، وبواقع الصمود والتضحية في مواجهة أعداء الأُمَّة.

محاور الموعظة

معنى سنّة الاستبدال في القرآن الكريم
كربلاء نموذج الاستبدال العظيم
الاستبدال وواقع الأُمَّة اليوم
كيف نحفظ أنفسنا من الاستبدال؟

تصدير الموعظة

﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالِكُمْ﴾¹.

¹ سورة محمد، الآية 38.

معنى سنة الاستبدال في القرآن الكريم

يكشف لنا القرآن الكريم سنناً إلهية تحكم حركة المجتمعات والأمم، ومن أخطر هذه السنن وأشدّها رهبةً سنة الاستبدال، يقول تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾.

الاستبدال يعني أنّ الله تعالى لا يربط دينه بأشخاصٍ أو جماعاتٍ أو أممٍ بعينها، فمن يحمل الرسالة ويثبت على طريقها ينله شرف النصر، ومن يتراجع ويتخاذل ويترك التكليف يُرفع عنه هذا الشرف ويُعطى لغيره؛ ولذلك يقول تعالى أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾¹.

هذه الآية تبيّن صفات القوم الذين يختارهم الله لحمل دينه: يحبهم ويحبونه، متواضعون للمؤمنين، أعزّة أمام الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، لا يخافون ضغطاً إعلامياً ولا تهويلاً سياسياً ولا لومة لائم؛ وهذا يعني أنّ الخطر الحقيقيّ على الأمة ليس قلة العدد ولا ضعف الإمكانيات، وإتّما التويّ عن التكليف، والتراجع عن نصره الحقّ، والركون إلى الدنيا. وقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «مَنْ نَامَ لَمْ يَمُ عَنَّهُ»²؛ أي إنّ الأمة إذا غفلت عن أعدائها وعن

¹ سورة المائدة، الآية 54.

² السيّد الرضوي، فحج البلاغة، ص452، الكتاب 62.

واجباتها فلن يتركها العدو، بل سيستغلّ ضعفها وتحاذلها.

ولهذا لما تحدّث القرآن عن بني إسرائيل، بيّن أنّ سبب سقوطهم لم يكن ضعف القوة فقط، بل لأنهم تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال تعالى:

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾¹.

فالاستبدال ليس أمراً عشوائياً، بل نتيجة طبيعيّة حين تتحوّل الأمة من أمة تضحية إلى أمة راحة، ومن أمة جهاد إلى أمة خوف، ومن أمة مبدأ إلى أمة مصالح.

كربلاء نموذج الاستبدال العظيم

إذا أردنا أن نرى سنة الاستبدال بأوضح صورها، فلننظر إلى كربلاء. بعد وفاة النبيّ الأعظم (صلّى الله عليه وآله)، تراجعت جماعات كبيرة عن خطّ الرسالة الحقيقيّ، وسكت كثيرون عن الانحراف، ومال آخرون إلى الدنيا، حتّى وصل الأمر إلى أن يجلس يزيد بن معاوية على عرش المسلمين. هنا تحرك الإمام الحسين (عليه السلام)، حفظاً للدين من الضياع، وطلباً للإصلاح.

لكن ماذا فعلت الأمة؟ قسمّ خذل، وقسمّ خاف، وقسمّ باع ضميره، وقسمّ سكت.

أهل الكوفة كتبوا آلاف الرسائل للإمام الحسين (عليه السلام)، ثمّ تراجع أكثرهم عند أوّل تهديد، فخسروا شرف النصر، واستبدلوا بتلك الثلّة القليلة التي ثبتت

¹ سورة المائدة، الآية 79.

مع الإمام الحسين (عليه السلام)، أليس هذا هو الاستبدال بعينه؟ أولئك الذين خرجوا مع الإمام الحسين (عليه السلام) لم يكونوا أصحاب عددٍ وعدّة، لكنّهم كانوا أصحاب يقين؛ ولذلك حُلدوا في التاريخ، بينما صار المتخاذلون لعنةً تتوارثها الأجيال.

انظروا إلى كلمات أبي الفضل العباس (عليه السلام)، وإلى موقف حبيب بن مظاهر، وإلى زهير بن القين، وإلى القاسم بن الحسن، وإلى عليّ الأكبر، هؤلاء لم يسألوا عن النتائج الماديّة، وإنّما سألوا: أين رضا الله؟ وأين التكليف؟ فكرّ بلاء علمتنا أنّ الله قد يمنح قلّةً مؤمنة شرف الدفاع عن دينه حين تتراجع الأكثريّات، وأنّ معيار الكرامة عند الله ليس الكثرة، بل الثبات.

الاستبدال وواقع الأمة اليوم

نعيش اليوم زمناً تكالبت فيه قوى الاستكبار على شعوب هذه المنطقة، يريدون إخضاعها وإذلالها وسلب إرادتها وثرواتها، ويعملون ليل نهار على كسر روح المقاومة فيها. لكنّ السؤال هنا: هل تحلّت هذه البيئة المؤمنة عن دينها؟ هل تراجعت عن نصره الحق؟ هل تركت الميدان؟ أبداً.

فهؤلاء الذين قدّموا أبناءهم شهداء، وهُدِّمت بيوتهم، وهُجِّروا من قراهم، وصبروا على الجراح، ليسوا أمةً متولّية عن أمر الله، بل أمة متمسّكة بخيارها، ولذلك لا يمكن أن يخذلها الله تعالى.

إنّ الله سبحانه وعد المؤمنين بالنصر، فقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ

الْمُؤْمِنِينَ¹، ولكن لم يقل تعالى إِنَّ النصر يأتي دائماً سريعاً، بل قد يحتاج إلى صبرٍ وثباتٍ وتضحيات، ولذلك قال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾²، وفي الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أفضل الأعمال أحمرها»³؛ أي أشدها مشقةً وثباتاً. ولذلك فإنَّ الضغوط والحصار والحرب والتهويل الإعلامي ليست دليلاً على الهزيمة، بل قد تكون امتحاناً يكشف صدق الانتماء.

إنَّ أخطر ما يريده العدوّ اليوم ليس فقط احتلال الأرض، بل إسقاط الإرادة، وإقناع الناس بأنَّ المقاومة عبث، وأنَّ التمسك بالدين خسارة، وأنَّ الاستسلام هو الطريق الواقعي، بينما يقول القرآن لنا إنَّ الواقعية الحقيقية هي الثقة بالله، والثبات على الحقِّ، وعدم الخوف من كثرة الأعداء، وقد قال تعالى: ﴿كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾⁴.

كيف نحفظ أنفسنا من الاستبدال؟

إنَّ الخطر اليوم ليس فقط أن تُهزم الأمة عسكرياً، بل أن تسقط أخلاقياً وروحياً، فتفقد أهليتها لحمل الرسالة، فكيف نحفظ أنفسنا من الاستبدال؟

¹ سورة الروم، الآية 47.

² سورة آل عمران، الآية 142.

³ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج67، ص191.

⁴ سورة البقرة، الآية 249.

أولاً: بالثبات على الولاية والحق، وعدم الانخداع بالحملات الإعلامية والتضليل. ثانياً: بتحمّل المسؤولية، فكلّ إنسانٍ له دور، إمّا بالكلمة، أو بالموقف، أو بالتربية، أو بالدعم، أو بالصبر.

ثالثاً: بعدم التعلّق بالدنيا تعلقاً يُسقط الإنسان عند الامتحان، فإنّ أكثر الذين خذلوا الإمام الحسين (عليه السلام) عرفوا الحقّ لكنّهم خافوا على مصالحهم، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): «إِنَّمَا بَدَأُ وَقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ»¹.

رابعاً: باليقين بوعد الله تعالى، فإنّ المؤمن لا يقيس الأمور بالحسابات المادّية وحدها، بل يرى يد الله فوق كلّ شيء.

ولذلك كان أصحاب الحسين (عليه السلام) يزدادون اطمئناناً كلّما اشتدّ البلاء؛ لأنّهم رأوا الحقيقة بعين البصيرة. وإنّ عاشوراء مدرسة تحفظ للأمة وعيها وكرامتها، وتذكّرها دائماً بأنّ الله لا يترك دينه، وأنّ الراية ستبقى مرفوعة مهما كثرت التضحيات؛ فإمّا أن يكون الإنسان من أنصار الحقّ، وإمّا أن يُستبدل.

¹ السيّد الرضي، فتح البلاغة، ص88، الخطبة 50.

الموعظة التاسعة عشرة مجتمع الرحمة

هدف الموعظة

ترسيخ ثقافة الرحمة وضبط النفس في المجتمع المؤمن، وبيان أنّ العنف والغضب والانفعال تتنافى مع أخلاق الإسلام ومدرسة الإمام الحسين (عليه السلام).

محاورة الموعظة

الإسلام دين الرحمة

الإمام الحسين (عليه السلام) مدرسة الرحمة

أسباب العنف في المجتمع

كيف نبني مجتمع «رحماء بينهم»؟

تصدير الموعظة

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾¹.

¹ سورة الفتح، الآية 29.

الإسلام دين الرحمة

عندما نتأمل في القرآن الكريم وسيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام)، نجد أنّ الأصل الذي قامت عليه العلاقات الاجتماعية في الإسلام هو الرحمة لا القسوة، والعفو، لا الانتقام، والإصلاح لا الإفساد، وقد وصف الله تعالى رسوله (صلى الله عليه وآله) بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾¹، فاللين والرحمة عنصران أساسيان في نجاح الرسالة وحفظ المجتمع. ويقول تعالى أيضاً: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾². إنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يكن يحمل مشروعاً يقوم على الإذلال والقهر، وإتّما كان يحمل مشروع هداية ورحمة؛ ولذلك كانت أخلاقه تجذب الناس قبل كلماته.

ولقد سعت الشريعة الإسلامية إلى بناء مجتمع متراحم، متسامح، متعاون، مجتمع لا تتحكّم به الأحقاد والانفعالات، بل تضبطه التقوى والأخلاق؛ لذا بيّنت الروايات الشريفة معياراً دقيقاً للإيمان الحقيقي؛ فالمؤمن ليس كثير الصلاة فقط، ولا كثير الكلام والشعارات فقط، وإتّما هو الإنسان الذي يشعر الناس بالأمان بقربه، فلا يخافون من لسانه، ولا من يده، ولا من ظلمه، ولا من أذيتّه، عن

¹ سورة آل عمران، الآية 159.

² سورة التوبة، الآية 128.

الإمام الصادق (عليه السلام): «المسلم من سلم الناس من يده ولسانه، والمؤمن من ائتمنه الناس على أموالهم وأنفسهم»¹.

ومن هنا نفهم معنى قوله تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي إنّ العلاقة بين المؤمنين يجب أن تُبنى على الرفق، والستر، والنصيحة، والتجاوز، والصبر على أخطاء بعضهم، لا على التشفي والتشهير والاعتداء. وإنّ من أخطر ما يهدّد المجتمعات ليس فقط عدوان الأعداء الخارجيين، بل تفككها الداخلي، وانتشار العنف والبغضاء بين أبنائها. فحين يتحوّل المجتمع إلى بيئة مليئة بالسباب والشتائم والتخوين والاعتداء، فإنّه يفقد روحه الإيمانية، ولو بقيت فيه بعض المظاهر الدينية.

الإمام الحسين (عليه السلام) مدرسة الرحمة

إذا أردنا أن نرى الرحمة الإسلامية بأوضح صورها، فلننظر إلى الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء، فإنّه (عليه السلام) حاول بشق الطرق أن يمنع القتال، وأن يهدي القوم، وأن يوقظ ضمائرهم. عندما وصل جيش الحرّ بن يزيد الرياحي ومن معه، وكانوا قد أرهقوا عطشاً في الصحراء، أمر الإمام الحسين (عليه السلام) أصحابه أن يسقوهم الماء، وأن يرشّفوا خيولهم. أيّ رحمة هذه؟ هؤلاء جاؤوا ليمنعوه، وليضيّقوا عليه، وليمهدوا لقتاله، ومع ذلك قابلهم الإمام (عليه السلام) بالرحمة والإنسانية. ثمّ إنّ (عليه السلام) بقي يخاطبهم بالموعظة والنصيحة، ويقول

¹ الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، ص 239.

لهم: «أيها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحقّ لكم عليّ»¹، فلقد كان يريد أن ينقذهم من النار قبل أن يفكر في إنقاذ نفسه من القتل. بل حتى في يوم عاشوراء، عندما وقع بعض القوم في التردد، فتح لهم باب التوبة، كما حصل مع الحرّ الرياحي، الذي جاء معتذراً نادماً، فقبله الإمام الحسين (عليه السلام) ولم يطرده. هذه أخلاق أهل البيت (عليهم السلام): لا يحولون الخلاف إلى حقد، ولا الذنب إلى إلغاء للإنسان، بل يفتحون أبواب العودة والإصلاح.

وفي المقابل، انظروا إلى جيش يزيد، كيف تحوّل الغضب والحقد والطمع في الدنيا إلى قسوة أعمت القلوب، حتى قتلوا ابن بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، ومنعوا عنه الماء، واعتدوا على الأطفال والنساء. وهنا نفهم أنّ العنف ليس مجرد انفعال عابر، بل قد يتحوّل إلى حالة تسقط معها إنسانية الإنسان ودينه وأخلاقه.

أسباب العنف في المجتمع

إنّ ما نشهده اليوم من تفشّي العنف بين الناس، من شجارات، وإطلاق نار، واعتداءات، وتفكّك اجتماعي، لا يأتي من فراغ، بل له أسباب ودوافع حدّر منها القرآن وأهل البيت (عليهم السلام).

أولاً: انعدام التقوى

¹ الشيخ المفيد، الإرشاد، ج2، ص97.

إنَّ التقوى هي الرادع الداخلي الذي يمنع الإنسان من ظلم الآخرين، وحين تغيب التقوى، يصبح الإنسان مستعداً لارتكاب أبشع الجرائم؛ ولذلك عرض القرآن قصّة ابني آدم (عليه السلام): ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾¹. إنَّ أوّل جريمة قتل في التاريخ بدأت حين غابت التقوى وسيطر الحسد والغضب؛ ولهذا قال أحد الابنين للآخر: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

ثانياً: الغضب

وهو من أخطر أبواب الشيطان على الإنسان، عن الإمام الصادق (عليه السلام): «سمعتُ أبي (عليه السلام) يقول: أتى رسولُ الله (صلى الله عليه وآله) رجلاً بدويّاً، فقال: إنّي أسكن البادية، فعلمني جوامع الكلام، فقال: أمرك أن لا تغضب، فأعاد عليه الأعرابيُّ المسألة ثلاث مرّات، حتّى رجع الرجل إلى نفسه، فقال: لا أسأل عن شيء بعد هذا، ما أمرني رسولُ الله (صلى الله عليه وآله) إلا بالخير. قال: وكان أبي يقول: أيُّ شيء أشدّ من الغضب؟! إنَّ الرجلَ ليغضب، فيقتل النفسَ التي حرّم الله، ويقذف المحصنة»².

¹ سورة المائدة، الآيات 27 - 30.

² الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص303.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): «الغضب شرٌّ، إنَّ أظعته دمرٌ»¹، فكَم من كلمةٍ قيلت ساعة غضب دمّرت عائلة! وكَم من شجارٍ بدأ بانفعالٍ بسيطٍ ثمَّ انتهى بجرّيمة! وكَم من إنسانٍ ندم على فعلٍ ارتكبه وهو فاقد السيطرة على نفسه! ولذلك قال الإمام الصادق (عليه السلام): «من لم يملك غضبه، لم يملك عقله»²، فالإنسان الغاضب يفقد التوازن، ويصبح أقرب إلى التهور، وقد يرتكب ما لا يتصوّر أنّه يفعلُه في حال هدوئه.

ثالثاً: الحدّة وسوء التعامل

بعض الناس يعتاد الأسلوب القاسي في الكلام والتصرّف، فيصبح سريع الانفعال، شديد الخصومة، لا يتحمّل كلمةً ولا نقاشاً، وهذا ما عبّر عنه أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: «الحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ؛ لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ، فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكِمٌ»³، فالحِدّة المستمّرة تخلق بيئة توتّر، وتستدرج الآخرين إلى ردود فعلٍ مشابِهة، فتتحوّل العلاقات الاجتماعيّة إلى ساحة نزاعات وصدّامات، ولهذا أوصى أمير المؤمنين (عليه السلام): «إِيَّاكَ وَالغُضْبَ؛ فَأَوَّلُهُ جُنُونٌ وَآخِرُهُ نَدَمٌ»⁴.

¹ الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج12، ص11.

² الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص305.

³ السيّد الرضي، فحج البلاغة، ص513، الحكمة 255.

⁴ الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج12، ص12.

كيف نبني مجتمع «رُحماء بينهم»؟

إنّ عاشوراء لا تريد منّا البكاء فقط، بل تريد أن تبني أخلاقنا وسلوكنا، فكيف نبني مجتمع الرحمة؟

أولاً: بضبط اللسان، فإنّ كثيراً من العنف يبدأ بكلمة، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم»¹. ثانياً: بالعفو والتسامح، فإنّ الإنسان القويّ ليس الذي ينتقم بسرعة، بل الذي يملك نفسه عند الغضب، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ليس الشديد بالصرعة، إنّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»².

ثالثاً: بنشر ثقافة الحوار بدل الشتائم والتخوين.

رابعاً: بتربية الأبناء على الرحمة والاحترام، لا على العصبية والعنف.

خامساً: بحاسبة النفس دائماً، وسؤالها: هل أنا مصدر أمان للناس أم مصدر أذى؟ إنّ المجتمع الذي يريده الله تعالى هو مجتمع «رُحماء بينهم»، مجتمع يشعر فيه الإنسان بالأمان على نفسه وكرامته وحقوقه. وقد علّمنا الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء أنّ الإنسان يمكن أن يكون مظلوماً، محاصراً، مهدّداً، ومع ذلك يبقى صاحب أخلاق ورحمة وإنسانيّة.

¹ الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص115.

² ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليه وآله)، ص47.

الموعظة العشرون المرأة التي حفظت كربلاء

هدف الموعظة

إظهار نظرة الإسلام الحقيقيّة إلى المرأة، وإبراز شخصيّة السيّدة زينب (عليها السلام) نموذجاً للمرأة المؤمنة الواعية، الشجاعة، الثابتة في مواجهة الظالمين.

محاوّر الموعظة

المرأة بين ظلم الجاهليّة وانحراف العصر الحديث
السيّدة زينب (عليها السلام) ثمرة التربية الإلهيّة
شجاعة السيّدة زينب (عليها السلام) وثباتها بعد عاشوراء
ما الذي تحتاجه المرأة اليوم من مدرسة زينب (عليها السلام)؟

تصدير الموعظة

أمير المؤمنين (عليه السلام): «إنّ المرأة ريحانة وليست بقهرمانة؛ فدارها على كلّ حال، وأحسن الصحبة لها، ليصفو عيشك»¹.

¹ الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج3، ص556.

المرأة بين ظلم الجاهليّة وانحراف العصر الحديث

إنّ النظرة إلى المرأة كانت دائماً من القضايا التي اختلفت فيها المجتمعات والحضارات. فمنذ القدم، تعرّضت المرأة إلى أشكال متعدّدة من الظلم، تارةً باسم العادات والتقاليد، وأخرى باسم التحرّر والانفتاح.

في الجاهليّة، كانت المرأة تُعامل كمتاع، لا كإنسان له كرامته وحقوقه. تُحرّم من الإرث، ويُتحمّم بمصيرها، وقد تصل القسوة إلى حدّ وأد البنات خوفاً من العار أو الفقر، وقد صوّر القرآن هذه الحالة بأبلغ بيان، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾¹.

وجاء الإسلام ليقلب هذه المعايير الظالمة، ويعيد للمرأة إنسانيّتها وكرامتها، فجعلها شريكةً للرجل في التكليف والكرامة والثواب والعقاب، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾².

فالمرأة في الإسلام ليست كائناً هامشيّاً، وليست أداةً للزينة أو المتعة أو الاستغلال، بل إنسان كامل الكرامة والمسؤوليّة، وقد أكّد رسول الله (صلى الله

¹ سورة التكوير، الآيتان 8 - 9.

² سورة الأحزاب، الآية 35.

عليه وآله) هذه المكانة في سلوكه العمليّ، فكان يقوم لابنته السيّدة فاطمة (عليها السلام)، ويقبّل يدها¹، ويقول: «إنّ فاطمة بضعة منّي، فمن آذاها فقد آذاني»².

لكنّ الانحراف لم ينته، بل تعيّر شكله في العصر الحديث؛ فبعدما كانت المرأة تُظلم بجرمانها من حقوقها، أصبحت اليوم تُظلم بطريقةٍ أخرى تحت شعارات الحرّيّة والانفتاح.

لقد أراد الغرب أن يُخرج المرأة من دائرة الكرامة إلى دائرة الاستهلاك، وأن يجعل قيمتها في جسدها وشكلها، لا في عقلها وإيمانها وأخلاقها؛ فصار الابتذال يُقدّم على أنّه حرّيّة، والتفلّت الأخلاقيّ يُقدّم على أنّه تقدّم، بينما الحقيقة أنّ المرأة حين تُجرّد من عقّتها وحيائها تُجرّد من أعظم عناصر قوّتها.

أمّا الإسلام، فقد أراد للمرأة أن تكون محفوظة الكرامة، مصونة المكانة، محترمة الشخصية، ولذلك قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «صيانة المرأة أنعم لحالها وأدوم لجمالها»³؛ أي إنّ حفظ المرأة لعقّتها وكرامتها ليس تقييداً لها، بل حفظ لها من الامتهان والانكسار.

¹ راجع: السجستانيّ، سنن أبي داوود، ج2، ص522.

² الشيخ الصدوق، الأمالي، ص165.

³ الليثيّ الواسطيّ، عيون الحكم والمواعظ، ص303.

السيدة زينب (عليها السلام) ثمرة التربية الإلهية

إذا أردنا أن نعرف كيف يصنع الإسلام المرأة العظيمة، فلننظر إلى السيدة زينب (عليها السلام). هذه المرأة التي تربت في بيت الوحي، في بيت علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، فكانت ثمرةً من ثمار تلك التربية الربانية. لقد اجتمع في شخصيتها العلم، والعفة، والعبادة، والصبر، والبصيرة، والشجاعة؛ ولذلك قال لها الإمام السجاد (عليه السلام): «وأنت -بحمد الله- عاملة غير معلّمة، فهمة غير مفهّمة»¹. وهذا التعبير يكشف عن عمق شخصيتها العلمية والروحية، وأنها لم تكن امرأةً عادية، بل كانت تمتلك وعياً وبصيرةً استثنائية. إنّ زينب (عليها السلام) لم تصنعها الظروف فقط، بل صنعتها التربية الإيمانية الواعية.

وهنا ينبغي الالتفات إلى نقطةٍ مهمّة: إنّ المرأة المؤمنة لا تُبنى بالمظاهر فقط، بل بالعلم، والإيمان، والوعي، وحسن التربية؛ فالأسرة التي تُربّي ابنتها على العفة والثقة بالله والوعي والمسؤولية، إنّما تبني شخصيّة قادرة على مواجهة الفتن والتحديات. وزينب (عليها السلام) كانت مثال المرأة التي جمعت بين الحياء والقوّة، وبين العفة والحضور الفاعل، فلم يمنعها حجابها من أداء دورها، ولم تمنعها أوثقها من الثبات أمام الطغاة.

¹ الشيخ الطبرسي، الاحتجاج، ج2، ص31.

شجاعة السيِّدة زينب (عليها السلام) وثباتها بعد عاشوراء

إذا كان الإمام الحسين (عليه السلام) قد حفظ الإسلام بدمه، فإنَّ السيِّدة زينب (عليها السلام) حفظته بموقفها وكلمتها وثباتها. فبعد انتهاء المعركة، كان المطلوب من السلطة الأمويَّة أن تُنهي كلَّ أثرٍ لكربلاء، وأن تُحوِّل الحسين (عليه السلام) إلى مجرِّد خارجٍ على الدولة، لكنَّ زينب (عليها السلام) أسقطت هذا المشروع.

حين أُدخلت على عبيد الله بن زياد، أراد أن يكسرهما نفسياً، فقال لها متشقيماً: «كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟»، فأجابته بكلِّ ثبات: «ما رأيتُ إلاَّ جميلاً، هؤلاء القومُ كتبَ اللهُ عليهمُ القتلَ، فبرزوا إلى مصاجعهم»¹. أيَّ قوَّة هذه؟! امرأةٌ فقدت إخوتها وأبناءها وأهلها، وسُبيت، وأُحرقت خيامها، ومع ذلك تقف أمام الطاغية بكلِّ عزَّة وثبات! ثمَّ انظروا إلى خطابها في مجلس يزيد، حين قالت له: «وهل رأيك إلاَّ فند، وأيامك إلاَّ عدد، وجمعك إلاَّ بدد، يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين»².

لقد كانت زينب (عليها السلام) تدرك أنَّ المعركة لم تنته بشهادة أخيها (عليه السلام)، بل بدأت مرحلة حفظ الرسالة وكشف الحقيقة؛ ولذلك خاطبت أهل

¹ ابن أعمم الكوفي، الفتوح، ج 5، ص 122.

² الشيخ الطبرسي، الاحتجاج، ج 2، ص 37.

الكوفة بجرأة عظيمة، فقالت: «يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، يَا أَهْلَ الْحُتْلِ وَالْحُنْدِلِ...»¹. لم تخشَ سلطاناً، ولم تُجاملَ جماهير؛ لأنّها كانت ترى نفسها مسؤولةً عن قول الحقّ. وهنا نتعلّم أنّ المرأة المؤمنة ليست امرأةً منكسرة أو ضعيفة، بل قادرة على أن تكون صاحبة موقف ورسالة، يقول الإمام الخامنّي (قُدّس سرّه): «قلّما نجد إنساناً -رجلاً كان أو امرأة- يستطيع أن يخوض غمار الميادين الصعبة بهذه القوّة والصلابة، كما خاضته تلك السيّدة»².

ما الذي تحتاجه المرأة اليوم من مدرسة زينب (عليها السلام)؟

إنّ المرأة اليوم تواجه حرباً ثقافيّة وأخلاقيّة وإعلاميّة خطيرة، فثمّة من يريد أن يفرغ المرأة من هويّتها، وأن يجعلها أسيرة الموضات، والشهوات، والمظاهر الفارغة. وفي المقابل، تقدّم لنا السيّدة زينب (عليها السلام) نموذجاً مختلفاً: امرأة عفيفة لكنّها حاضرة، امرأة مؤمنة لكنّها قويّة، امرأة محجّبة لكنّها صاحبة تأثير، امرأة تعيش الحياء لكنّها لا تسكت عن الحقّ.

إنّ المرأة لا تحتاج اليوم إلى تقليد النماذج الغربيّة حتّى تثبت نفسها، بل تحتاج إلى الثقة بقيمتها الحقيقيّة التي أرادها الله لها. كما أنّ المجتمع مسؤول عن حماية المرأة واحترامها، لا عن تحويلها إلى وسيلة استغلال أو ضغط اجتماعي، وعن

¹ الشيخ المفيد، الأمالي، ص322.

² من كلام له (قُدّس سرّه)، بتاريخ 2020/01/01م.

رسول الله (صلى الله عليه وآله): «خيركم خيركم لنسائه، وأنا خيركم لنسائي»¹؛ فالإسلام لا يبني مجتمعاً سليماً إلا عندما تُصان المرأة، وتُحترم، وتُربى على الإيمان والوعي والكرامة.

إنّ السيّدة زينب (عليها السلام) كانت مدرسة متكاملة في الوعي، والعقّة، والصبر، والشجاعة، والثبات. لقد أثبتت أنّ المرأة يمكن أن تكون شريكاً في صناعة أعظم التحوّلات، إذا تربّت على الإيمان والبصيرة. ومن كربلاء تعلّمنا أنّ الكلمة الواعية تحفظ انتصار الدم عبر الزمن، وهذا ما فعلته عقيلة بني هاشم (عليها السلام)؛ فلنربّ أبناءنا وبناتنا على خطّ زينب (عليها السلام)، ولنجعل من بيوتنا بيوتاً تحفظ الإيمان والعقّة والكرامة.

¹ الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج3، ص443.



دار المعارف الإسلامية الثقافية